السؤال الثالث : الجزء الثاني

سؤالات الدكتور محمد بن أحمد إسماعيل المقدم إلى الدكتور مصطفى حلمي

شخصيات إسلامية معاصرة

- بديع الزمان النورسي - تركيا
- السرهندي - الهند
- ابن باديس - الجزائر
- محمد عبدالله دراز - مصر



د. مصطفى حلمي

دار الخلفاء الراشدين

سؤالات الدكتور/ محمد بن أحمد إسماعيل المقدم

إلى الدكتور/ مصطفى حلمي

استكمال السؤال الثالث

شخصيات إسلامية معاصرة

بديع الزمان النورسي - تركيا

السرهندي - الهند

ابن باديس - الجزائر

محمد عبد الله دراز - مصر

توزيع



الإسكندرية - أبو سليمان - ش عمر

أمام مسجد الخلفاء الراشدين

٠١٠٠٦٧١٤٧٦٨ - ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦

دار الفتح الإسلامي

الإسكندرية - مصطفى كامل

بجوار مسجد الفتح الإسلامي

٠١٠٠٥٠١٣١٥١ - ٠١٠٩٤٥٥٥١٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

دار الخلفاء الراشدين

الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

رقم الإيداع: ٢٣٤٨٤ / ٢٠٠٩

الإدارة : ٠١٠٠٦٧١٤٧٦٨ المبيعات: ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦

المُقَدّمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد:

فكنت أود أن أعيد هنا ما قلته في مقدمة الجزء الثالث عن «**شخصيات إسلامية معاصرة**» بلا إضافة، لولا أن ثورة يناير بمصر هي حدثٌ جلل لا نستطيع تفادي تسجيل آثاره على العقل والوجدان، وعلى الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي لشعب مصر، وامتداده إلى شعوب البلاد العربية والإسلامية.

وكان من أبرز تداعيات الثورة في المرحلة الحالية هو: إفصاح الجماهير عن رغبتها في سيادة الشريعة الإسلامية، وتعبيرها عن الحنين الجارف للعودة إلى الإسلام، حيث حجبته عنها قوى الاستعمار وأعوانه طيلة نحو ستة عقود، وعبّرت الأصوات المطالبة بتطبيق شرع الله عن انقلاب حقيقي بميزان المقاييس السياسية والاجتماعية

ولئن جاء هذا مفاجأة لدى المؤسسات البحثية الغربية، ولكنه لم يفاجئنا؛ لأن الدارس لأحوال المجتمعات الإسلامية بعامة يرصد التراجع الملحوظ للتيار الليبرالي المتغرب، بالرغم من تجنيد أجهزة الإعلام المكثف، والمعونات المالية الآتية من الخارج بملايين الدولارات.

والخطأ الفادح الذي تقع فيه دوائر البحث والرصد في البلاد الغربية أنها لا تريد الاعتراف بأن الإسلام هو عقيدة الأمة وتراثها الحضاري الذي عاشت في ظله طوال أربعة عشر قرنًا من الزمان والنبات الطبيعي الذي تغذت به، ولن تلفح أية محاولات -مهما بلغت من قوة وجبروت- إقصاء الأمة عن ثقافتها الإسلامية.

ومما يتصل بموضوع الشخصيات الإسلامية التي نعرضها في هذه الأجوبة، أنها حملت الشعلة وسط الأجواء المظلمة التي فرضها الاستعمار بوسائل الغزو الثقافي، والمحاولات الدؤوبة منذ العصر الناصري التي اتخذت من شعبنا حقل تجارب للماركسية الملحدة ألبستها ثياب الاشتراكية[1]، فأفقدت الأمة أجيالًا من أبنائها، وكانت

---

(١) يذكر بعض المترجمين لتاريخ عبد الناصر، أنه انتمى في مرحلة من مراحل حياته للحزب الشيوعي الذي أسسه اليهودي هنري كوريل باسم «حدتو» يقول الأستاذ محمود الشاذلي: «وكان من أعضائه جمال عبد الناصر وخالد محيي الدين =

المصيبة الكبرى والحصاد المرّ الذي مازال في حلوقنا هو ضياع القدس، ووقوع المسجد الأقصى السليب في أيدي اليهود، ومحاولة معاندة القدر الإلهي الذي كشف عداء اليهود بقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢].

نعم حاول ذلك السادات وهو أحد ضباط انقلاب يوليو ٥٢ بعقد إتفاقية سلام وهي في حقيقتها استسلام وخنوع وقبول مذلّ لرهن سيناء لدى الإسرائيليين[1]، وقبل ذلك محاولة كسر إرادة الأمة التي لابد أن تسترد قطعة الأرض السليبة -فلسطين- وهي أرض المسلمين

= ويوسف صديق وأحمد حمروش وكمال رفعت وغيرهم» (ص:٦٩) من كتابه «فتح القسطنطينية» مكتبة المختار بمصر بدون تاريخ.

(١) تغيرت المواقف في العصر السابق، فبعد أن كنا منذ نكبة فلسطين ١٩٤٨ ننادي برفع راية الجهاد والمقاومة وانتزاع أرض فلسطين المغتصبة من أيدي اليهود، أصبحت وسائل الإعلام تردد شعار السلام وأنه الخيار الاستراتيجي!

وقال السلطان عبد الحميد عندما عرض عليه اليهود حل الأزمة المالية للخلافة العثمانية مقابل السماح لهم بدخول القدس... قال: «لماذا نترك القدس؟ إنها أرضنا في كل وقت وفي كل زمان، وستبقى كذلك فهي من مدننا المقدسة وتقع في أرض إسلامية، لابد أن تظل القدس لنا».

«مقدمة مذكرات السلطان عبد الحميد» بقلم الدكتور محمد حرب عبد الحميد (ص:١٢) دار الأنصار بالقاهرة ١٩٧٨م.

من مغتصبيها مهما طال الزمن، ومهما عظمت التضحيات بالأموال والأنفس، والهدف بمشيئة الله تعالى وعونه ليس بمستحيل التحقيق، بل هو في قدرة الأمة الإسلامية بإمكانياتها التي تتفوق على قدرات إسرائيل مهما إستمدت المعونات العسكرية والمالية، وليس أدل على ذلك من حرب أكتوبر ١٩٧٣ التي أجهضتها الخيانة كما صورها الفريق سعد الدين الشاذلي في مذكراته، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عندما قررت أن أبدأ في كتابة مذكراتي في أكتوبر ٧٦ -أي بعد ثلاث سنوات من حرب أكتوبر ٧٣- لم يكن هدفي فقط هو كشف أكاذيب السادات التي عمد إلى تأليفها جزافًا بعد أن وضعت الحرب أوزارها؛ بل كان هدفي الأول هو إعطاء صورة حقيقية للأعمال المجيدة والمشرفة التي قام بها الجندي المصري في هذه الحرب...

إن من المؤسف حقًا أن السادات ورجاله لم يستطيعوا تقديم هذه الحرب في الإطار الذي تستحقه كعمل من أروع الأعمال العسكرية في العالم»[١].

كذلك يزيدنا إيضاحًا بقوله: «إن مهاجمة رئيس نظام أتوقراطي

---

(١) الفريق سعد الدين الشاذلي «مذكرات حرب أكتوبر» ط. ٤ (ص: ٤) – دار بحوث الشرق الأوسط الأمريكية – سان فرانسيسكو ٢٠٠٣م.

وفضح أكاذيبه أو خداعه ليس بالأمر السهل، إنه يحتاج إلى الوثائق التي لا يتطرق إليها الشك، ويحتاج إلى شهود دوليين، وإلى مناخ إعلامي مناسب...

وفيما بين أكتوبر ٧٧ ومايو ١٩٧٨ ارتكب السادات ثلاثة أخطاء كبيرة تسببت بمجموعها في خفض شعبيته في مصر والعالم العربي إلى الحضيض، ففي نوفمبر ٧٧ قام بزيارته المشئومة إلى القدس، حيث أعطى الكثير لإسرائيل دون أن يحصل على شيء لقاء ما أعطى.

وفي إبريل ٧٨ نشر مذكراته، وبذلك كان أول رئيس دولة في العالم يقوم بنشر مذكراته وهو ما يزال في السلطة، لقد كان نشر هذا الكتاب عملًا لا أخلاقيًا إستغل فيه السادات منصبه كرئيس دولة وحاكم بأمره يملك وسائل الإعلام، يعطي ويمنع، يرقّي ويفصل، ينصر ويقهر، ليختلق الأكاذيب على كل من يخالفه في الرأي.

وفي مايو ٧٨ إرتكب الخطأ الثالث بإجراءاته التعسفية لإسكات كل رأيٍ حُرٍّ في البلاد»[1].

وكان الشاذلي يتوقع رحمه الله تعالى من أعوان السادات أن

---

(١) المصدر السابق (ص: ٥، ٦).

يقابلوه بالنقد أو التكذيب، فكتب يحذّرهم: «ولكن القليلين ممن باعوا أنفسهم للسادات وربطوا مصيرهم بمصيره: سوف يجدون أنفسهم في كرب شديد؛ فإما أن يقولوا الكذب -وهم يعلمون الحقائق- فيفقدوا بذلك سمعتهم أمام الناس وأمام أبنائهم وأمام التاريخ، ناهيك عن حساب الله ﷻ الذي يمهل ولا يهمل، إني أرثي لهؤلاء وأدعو الله أن يوفقهم إلى الصراط المستقيم، ولكني أحذّرهم بأنني قادر على إثبات كل ما كتبت في هذه المذكرات»[١].

ولكنه مع وصف القلّة من رجال السادات، أشاد بفخر بكل ضابط «وكل جندي أسهم في تلك الحرب التي استعادت للجندي المصري كرامته وتاريخه المجيد، لقد كانوا هم الأصحاب الحقيقيين لهذه المذكرات، لقد صنعوها بدمائهم وشجاعتهم، وكانوا شهود عيان لكل أحداثها، وأن بعض الحوادث التي ذكرتها في هذه المذكرات يعلمها الألوف منهم وبعضهم الآخر يعلمها المئات أو العشرات؛ إن مئات الألوف منهم سوف يستقبلون هذه المذكرات بحماسٍ شديد»[٢].

والحق أن زيارة السادات للقدس كانت صدمة قاسية لجماهير

---

(١) المصدر السابق (ص:٧).
(٢) المصدر السابق (ص:٦، ٧).

المسلمين، يقول الشيخ أحمد المحلاوي -حفظه الله تعالى-: «السادات كان حاكمًا عنده رؤية، وكنت أحترمه لأنه أفرج عن الإخوان المسلمين، ودعّم الأنشطة الإسلامية، وعمل حرب رمضان، وحارب الشيوعيين[١]... وكانت علاقتي به طيبة حتى عندما أعلن أنه مستعد للذهاب إلى آخر الدنيا من أجل حقن دماء أبنائه، وقلت: هذا رجل مراوغ ومناور، يحارب إسرائيل بنفس سلاحها في المناورة والخداع لأنها تضرب العرب وتعتدي عليهم، ثم تتباكى وتستغيث بالعالم لحمايتها منهم.. لكن عندما زار القدس؛ نفضت يدي منه، وأصبحت معارضًا عنيفًا لسياسته..».

إلى أن يقول: «فقدموني إلى المدعي العام الاشتراكي بتهمة مهاجمة الرئيس وسياساته ولم أنكر تهمة واحدة مما قلته عن معارضتي لمعاهدة السلام مع إسرائيل.. ولما ثبت أنها قضية رأي وأنها معارضة بناءة اعتقلوني في صيف ١٩٨١م»[٢].

---

(١) وقال أيضًا في مجال وصفه للسادات «عمل حاجات كثيرة كويسه، لكنه ضيعها بمعاهدة السلام السيئة مع إسرائيل».

(٢) جريدة «اللواء الإسلامي» العدد ١٥٤٦ الخميس ١٧ شوال ١٤٣٢هـ - ١٥ سبتمبر ٢٠١١م.

وتكشف الأيام عن بنود سرية لمعاهدة «السلام» «كامب ديفيد» لم تكن معروفة لدينا، إذ لم يكتف السادات بكبح جماح الأمة في الرغبة في إسترداد الأرض السليبة -فلسطين- بل وافق على بنود من شأنها تجميد المجتمع المصري ومنعه من اللحاق بالعصر فعرقل التقدم العلمي وهو أحد أسس أيـة نهضة معاصرة.

فقد كانت لهذه المعاهدة شروط «ومن هذه الشروط إلغاء كل المحاولات العلمية الجنينية... مثل معهد الطاقة النووية الذي كان يضم مشرّفة وآخرين، ووقف البعثات العلمية إلى روسيا، ووقف الأبحاث في الفيزياء والكيمياء التي كانت ضمن مقررات معهد الطاقة النووية، وكما نعرف فإن الأبحاث تولد الأبحاث، فإذا توقف البحث فماذا ننتظر؟

ويستطرد الدكتور رشدي راشد العالم العربي المقيم في فرنسا:

«فالبحث في الفيزياء مثلًا يقتضي تكوينا علميًا في الرياضيات والكيمياء ومجالات علمية أخرى، وهذه قيمة البحث الذي يساعد على نوع من النهضة العلمية وليس مجرد الشكل النفعي لها»[١].

---

(١) إبراهيم فرغلي - مقال بعنوان «الأصول التكنولوجية في العالم الافتراضي»

ويتضمن هذا الكتاب ترجمة مختصرة لكلٍّ من:

١- الإمام سعيد النورسي بتركيا.

٢- الشيخ السرهندي بالهند.

٣- الإمام عبدالحميد بن باديس بالجزائر.

٤- الدكتور محمد عبدالله دراز بمصر.

وختامًا لهذه المقدمة التي طالت بعض الشيء للضرورة، لا يسعني إلا أن أسأل الله تعالى أن ينفع المسلمين بهذا الكتاب، وأن يتقبله مني وأن يجازي عني خير الجزاء الإخوة الأفاضل الذين أسهموا في إخراجه للقراء.

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨].

وصلِّ اللَّهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مصطفى بن محمد حلمي

الإسكندرية في ٤ ذو القعدة ١٤٣٢ هـ

٢ أكتوبر ٢٠١١ م.

(ص:١٤٩) مجلة «العربي» الكويتية العدد ٦٣٤ سبتمبر ٢٠١١.

(١) بديع الزمان سعيد النورسي

تمهيد:

من نعم الله تعالى على هذه الأمة الإسلامية أنه يبعث لها كل مائة سنة من يجدد لها دينها كما ورد في حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي تاريخنا الإسلامي الحديث، ظهر ثلاثة مجددون قاموا بدور الحفاظ على عقيدة الأمة، وتجنيبها «مخاطر الذوبان في عقائد أخرى زائغة، أو السقوط في شراك الحضارة الوثنية القاتمة»[(١)].

أولهم الإمام المجدد الزاهد الشيخ أحمد بن عبد الأحد الفاروقي السرهندي في الهند، والثاني الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لثورة الجزائر الذي أنقذ بلاده من براثن فرنسا بعد نحو ١٣٠ عامًا من الاستعمار الاستيطاني المشابه لاستعمار اليهود لأرض فلسطين، وثالثهم الإمام المجاهد بديع الزمان سعيد النورسي في تركيا[(٢)].

---

(١) د/ عبد الودود شلبي - بحث بعنوان «سعيد النورسي: المصلح الذي تجسدت في دعوته كل حركات التجديد والإصلاح» (ص:٩٩) بكتاب بعنوان «بديع الزمان سعيد النورسي» في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامي استانبول طبعة موزلر للنشر - مدينة نصر بالقاهرة بدون تاريخ (ص:٢٧-٢٩).

(٢) المصدر السابق (ص:١٠٣).

يقول الدكتور عماد الدين خليل في أسلوب خطابي بليغ لبيان آثار جهود الإمام النورسي: «أيها المعلم والشيخ والأستاذ... قم؛ قم لترى ما الذي صنعته يداك... البذار الذي غرسته يشق الأرض وينهض مستويًا على سوقه ... ﴿ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾... قم لترى العالم الذي تحدثت عنه طويلًا... قلعة الإلحاد الفكري في الشرق «تركيا»، وهي تتهاوى فتصير حطامًا... وقلعة الفساد الخلقي في الغرب يأكله الإيدز، والمورفين...

قم لترى تلامذتك يملأون السهل والجبل.. تغص بهم الطرقات والساحات ... ويملأون مقاعد الدراسة والجامعات... ويكفيك شرفًا أيها الأستاذ أن تغادر الدنيا والشموع التي أوقدتها في حلكة العالم؛ لا تزال تشتعل لكي يضيء الطريق للمدلجين في الظلمات»[١].

وهو الإمام النورسي الذي يعبر بجهاده عن الصراع بين الحق والباطل في ذروة غروره وبطشه المتمثل في جرائم أتاتورك الذي حطم الخلافة الإسلامية بعد نحو أربعة عشر قرنًا منذ وفاة النبي ﷺ،

---

(١) المصدر السابق (ص: ٢١٤).

وكانت رمزًا لوحدة الأمة الإسلامية وملجأً لشعوبها عند النوازل، ولم يكتف بهذه الجريمة الكبرى بل أعلن الحرب على الإسلام بوسائل لم تتفتق عنها أذهان عتاة المجرمين من أعدائنا طوال تاريخه، فصح وصف جرائمه بأنها «الأيديولوجية الكمالية اللادينية»[(١)].

وقد أخذ على عاتقه تنفيذ المشروع التغريبي مستخدمًا قوى البطش العاتية؛ إذ لم يتورّع عن تعليق معارضيه على المشانق وفق محاكم عسكرية دفنت العدل مع ضحاياها[(٢)].

وكان مولد الإمام النورسي في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، أي في أواخر عمر الدولة العثمانية في نهاية عمرها، حيث عاصر تكالب الأعداء للقضاء عليها، إذ كان الحقد الأسود على الإسلام يحركهم وكانوا يخططون لإسقاط الخلافة حتى يتمكنوا من إقامة دولة إسرائيل لأن العثمانيين كانوا سدًّا منيعًا في مواجهتهم «ورغم ما بذله السلطان عبد الحميد ليبقي دولة الإسلام على قدميها خلال ٣٣ سنة؛ إلا أن المؤامرة كانت أحكم من أن تترك دولة الخلافة

---

(١) كمال السعيد «الدين والدولة في تركيا... صراع الإسلام والعلمانية» (ص:١٣٩) مكتبة الأسرة بمصر ٢٠٠٩م.

(٢) المصدر السابق.

تحيا، وكان أعوان الغرب والدوائر الأجنبية قد زرعوا عملاءهم بإحكام في قلب الدولة.

ولم يستطع السلطان رغم نيته الطيبة أن يحول دون سقوط الخلافة، أو يحفظ إسمه من التشويه الذي شوهته له دعاية الغرب.. ومن هذا الجو الدرامي المشحون ولد سعيد النورسي فحمل هموم الأمة وساهم في تنويرها»[(١)].

وفي هذا الجو المسموم تم حذف دروس الدين من المدارس، كما حذفت كلمات الخالق جل شأنه والرب والله جل جلاله من كتب المدارس ووضعت بدلًا منها كلمات الطبيعة والتطور والوطنية والقومية»[(٢)].

يقول الأستاذ أحمد بهجت: «في هذا الجو الكئيب كان الإسلام يتعرض لحرب علنية تشنها الحكومة بكل أجهزتها، وفي هذه السنوات الحالكة السواد، أشعل سعيد النورسي شمعة لتبديد الظلام، وقال في تقديم نفسه: إنني لست شيخ طريقة، فالوقت الآن

---

(١) أحمد بهجت «سعيد النورسي: الرجل والدور» (ص:٤٢) كتاب «بديع الزمان سعيد النورسي» في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامي -استانبول ١٩٩٢.

(٢) المصدر السابق (ص:٤٦).

ليس وقت طرق صوفية، بل وقت إنقاذ الإيمان»[(١)].

وبرغم من محاكمة بعض أتباع الشيخ النورسي؛ فقد واصلوا نشاطهم في الستينيات بنشر تعاليمهم الدينية الداعية إلى التمسك بالإسلام قلبًا وقالبًا، مع اعتبار الزيّ الإسلامي جزءًا من الإسلام، كما كانت الجماعة تؤمن بأن الإسلام دين ودولة وحياة وشريعة، وقد طلب الشيخ النورسي إلى مندريس -رئيس الوزراء حينذاك- أن يقرر تدريس مجموعة خطبه المسماة «رسائل النور» كجزء من البرنامج التعليمي، واعتبر أهل النور العلمانية شأنها شان اللادينية مضادة للإسلام، فالإسلام يمكن أن يكون أساسًا للحكم، فالقرآن الكريم هو الدستور والشريعة هي القانون، وفي أواخر الستينيات أصبح النشاط الإسلامي ملحوظًا جدًّا، حيث عقد اجتماع بإسم «حماة المقدسات» أُعلن فيه أنه لا يمكن للدين أن يقام دون وجود دولة تحميه، وكان من الواضح أن الغليان الجماهيري ينبئ عن قواعد فكرية وسياسية تعمل بشكل سري[(٢)].

---

(١) المصدر السابق (ص: ٤٧).

(٢) د/ إبراهيم الدسوقي شتا «الحركة الإسلامية في تركيا» صفحات (٩٣، ٩٥-٩٦) باختصار - ط. الزهراء للإعلام العربي بالقاهرة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م. =

ولد سعيد النورسي في قرية «نورس» في شرق الأناضول وفي أسرة كردية صالحة تقية ١٢٩٤هـ - ١٨٧٧م.

وانتقل في القرى والمدن بين الأساتذة والمدارس ليتلقى العلوم الإسلامية، وسنحت له الفرص لمطالعة الكتب العلمية الإسلامية في علم الكلام والمنطق والتفسير والحديث والفقه والنحو.

كذلك انكب على دراسة الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء وعلم طبقات الأرض والفلسفة الحديثة والتاريخ والجغرافية «حتى تعمق فيها إلى درجة إفحام الأساتذة المختصين، فسمي لأول مرة «بديع الزمان» اعترافًا من أهل العلم بذكائه الحاد وعلمه الغزير»[1].

= قال أحد علماء الدين وهو على المشنقة: «إن القبعة من علامات الكفر، ولبسها كفر، أنا أحمد الله أنني أموت دون أن ألبسها»، ويروي أحد شهود العيان من المسنين: «كنت أمرّ من الميدان الذي كان يتدلى فيه المشنوقون، لم يكن هناك أحد باستثناء بعض الجندرمة -الجند- وبدأت الريح تهب، ولا أستطيع أن أنسى منظر اللحى البيضاء وهي ترف مع الريح». المصدر السابق (ص:٣٩ - ٤٠).

ويصف الدكتور كمال السعيد جرائم أتاتورك بأنها شكلت اصطدام وتحولات عنيفة، وأنها حالة فريدة لم يعرفها العالم من قبل، حتى إبّان الحكم اللّينني الستالين في روسيا الشيوعية (ص:١٣٣).

(١) د/ محسن عبد الحميد «النورسي متكلم العصر الحديث» (ص:١١) - ط. سوزلر للنشر - مدينة نصر ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

وحفلت حياة الإمام بالمضايقات المستمرة والمحاكمات الظالمة، ولكنه شق طريقه بقوة وأخذ يرشد تلامذته ويدرسهم «رسائل النور» حتى وفاته في الخامس والعشرين من رمضان ١٣٧٩هـ الموافق للثالث والعشرين من مارس ١٩٦٠م[١].

ونجتزئ من حياته الحافلة بالجهاد واقعتين:

أحدهما مع أتاتورك الذي بعث إليه يقول: «نحن فخورون بك كزعيم لكنك لسوء الحظ خلقت الخصام وبذرت الشقاق والفتنة بتأكيدك على أهمية أداء الصلاة».

فرد عليه بديع الزمان منتهرًا وموبخًا إياه باحتقار قائلًا: «أترفض يا باشا الصلاة؟

الصلاة هي عماد الدين والتي لا يعرف المرء مسلمًا إلا بها... أترفض الصلاة وتنكرها؟ إن من ينكر الصلاة يا باشا مرتد عند الله وأنت مرتد وحكمك أنك كافر»[٢].

وهناك واقعة أخرى حدثت عندما كان جنديًا بالجيش التركي في

---

(١) المصدر السابق (ص:٤٩).

(٢) مريم جميلة «شهداء الحركة الإسلامية في العصر الحديث» (ص:١٦) - ترجمة طارق السيد خاطر - ط. المختار الإسلامي - بدون تاريخ.

الحرب العالمية الأولى وقد أبلى فيها بلاءً حسنًا وأظهر بسالة غير عادية ولكنه وقع في الأسر، ولما قام القائد الروسي بزيارة معسكر أسرى الحرب، هب الأسرى جميعًا واقفين لتحيته ما عدا الشيخ بديع الزمان مما لفت نظر القائد فسأله: ألا تعرفني؟ فأجابه: أجل أعرف أنك الجنرال نيكولاس.. كل ما في الأمر أنني مسلم، وأعتبر المسلم أعلى شأنًا من أي كافر.. إنني أعبد الله ﷻ، لذلك لا يمكنني أن أعيرك اهتمامًا»[1].

وصدر الحكم عليه بالإعدام رميًا بالرصاص، وحثه زملاؤه للذهاب إلى الجنرال والتوسل إليه لتخفيف الحكم فأبى شاكرًا لهم صنيعهم بقوله: «قد يكون هذا الحكم هو جواز سفري إلى جنة الخلد».

ولم يملك الجنرال الروسي أمام شجاعته إلى أن زاره ومعه بعض كبار القادة وهو يربتْ على كتفه قائلًا: «بديع الزمان! أرجو منك قبول المعذرة، وأن تسامحني، من فضلك سامحني، لقد قمت تلقائيًا بإلغاء حكم الإعدام تقديرًا لإيمانك القوي، وتقديرًا لشجاعتك وإخلاصك الطاهر، وتقديرًا لشخصك النظيف النبيل»[2].

---

(١) المصدر السابق (ص:١٤-١٥).

(٢) المصدر السابق (ص:١٤).

موقفه من الشريعة:

سنقص هذه الواقعة ليتضح لنا مدى إستمساك الإمام النورسي بالشريعة فقد أسس حزبًا منافسًا للجنة التي كان يسيطر عليها الماسونيين أتباع أتاتورك وسماه «الإتحاد المحمدي» فقبض عليه وأعدم تسعة عشر من أتباعه، ثم التفت القاضي «خورشيد باشا» إليه وسأله: «هل مازلت تريد تطبيق الشريعة؟» فأجابه الشيخ: «لو أعطاني الله سبحانه ألف روح لشرفني التضحية بهم جميعًا في سبيل الله نصرة لدينه الحنيف».

ولما صدر حكم بإعدامه قامت ثورة شعبية عامة اضطرت المحكمة العسكرية أمامها إلى تبرئة ساحته[١].

وقاوم السفور الذي أمر به أتاتورك مثبتًا أن حجاب المرأة عمل بالشريعة الربانية الفطرية التي تصون النساء من المهانة والسقوط في الرذيلة، ولكن التشريعات الغربية عندما أطلقت حرية المرأة أضرت بها ضررًا كبيرًا[٢].

---

(١) الكاتبة الأمريكية مريم جميلة «شهداء الحركة الإسلامية في العصر الحديث» (ص:١١) ترجمة طارق السيد خاطر - ط. المختار الإسلامي بدون تاريخ.

(٢) د/ محسن عبد الحميد «النورسي، متكلم العصر الحديث» - سوزلر للنشر - مدينة نصر - القاهرة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

وعارض التصوف في رسائله «إن هذا العصر ليس بعصر تصوف وطريقه، وإنما هو عصر إنقاذ الإيمان»[١].

وكان الإمام قد درس الفلسفة دراسة وافية بمدارسها المتنوعة منذ عصر اليونان إلى زمانه، ولكنه رفضها ورفض مناهجها المستقلة عن الدين الحق الذي هو الإسلام[٢].

ويصف حكمة القرآن الكريم بأنها تقبل الحق نقطة استناد في الحياة الاجتماعية بدلًا من القوة، وتجعل رضى الله سبحانه ونيل الفضائل هو الغاية بدلًا من المنفعة، وتتخذ دستور التعاون أساسًا في الحياة بدلًا من دستور الصراع، وتلتزم برابطة الدين بدلًا من العنصرية والقومية السلبية[٣].

ومن كلماته دفاعًا عن «رسائل النور» التي كان يقبل على قراءاتها فئات المجتمع التركي من عمال وطلبة وفلاحين وموظفي الحكومة. قال: «ليس من العار علينا كمسلمين أن نترك للماسونيين شتم الإسلام وتشجيع الزنا والفجور وشرب الخمر ولعب الميسر كجزء من الحملة

(١) المصدر السابق (ص:٢٠٥).

(٢) المصدر السابق (ص:١٨٨).

(٣) المصدر السابق (ص:١٩١).

القومية للبلاد لتطبيع اقتباس الحضارة الغربية في الوقت الذي يزج بي أنا ورفاقي في غياهب السجن، وأحاكم لأنني أدعو لفلاح الناس وأنشر رسالة القرآن وأخدم في سبيل الدعوة إلى الله سبحانه ﷻ.

لقد اتهمت بأنني متمرد على الديمقراطية في حين أنني الواقع بطلها الأوحد منذ نعومة أظافري...»[(١)].

وتلخص هذه الكلمات موجزًا للرسالة التي عاش من أجلها، والصراع مع أتاتورك وأعوانه الذين أرادوا فرض النموذج الغربي على الشعب التركي بعد الإطاحة بالخلافة العثمانية وإلغاء الشريعة الإسلامية وإقصاء اللغة العربية حتى فرضوا الأذان للصلاة باللغة التركية.

وتلخص الكاتبة الأمريكية مريم جميل رحلة حياته الحافلة بالكفاح وأثرها الممتد حتى الآن عبر رسائله وتلاميذه بقولها: «بديع الزمان النورسي مصلح بديع من عظماء المصلحين في التاريخ الإسلامي الحديث، أرسله الله ﷻ ليجاهد لنصرة دينه وإحياء الإسلام، فقد ظهر بديع الزمان النورسي في تركيا ليحارب شرور ومفاسد النظام المرتد

---

(١) مريم جميل: «شهداء الحركة الإسلامية في العصر الحديث» (ص:١٧).
وجاءت هذه الكلمة أثناء دفاعه عن نفسه وعن تلامذته أمام المحكمة بتهمة «التآمر لقلب نظام الحكم»!.

لمصطفى كمال أتاتورك، وبالرغم من أن عقودًا من الزمن قد مرت بعد وفاة الطاغية الديكتاتور مصطفى كمال أتاتورك، إلا أن قوة تلاميذ وأتباع بديع الزمان تتعاظم بسرعة يومًا بعد يوم.

فهؤلاء التلاميذ والأتباع يبذلون كل ما في استطاعتهم لإحداث الصحوة والنهضة الإسلامية بالطرق السلمية من خلال الإشتغال الشاق في المهمة عبر الأنشطة الثقافية ودور ومؤسسات التربية والتعليم والوعظ والإرشاد...إلخ[1].

موقفه من حضارة الغرب:

يرى الدكتور عبد الودود شلبي أن موقف سعيد النورسي مطابق لموقف محمد إقبال من الحضارة الغربية، فكلاهما لم تخدعه الظواهر البراقة الزائفة أو طبول الدعاية الكاذبة لقد نظرا إلى جوهر الحضارة وروحها، وتعمقا في فهم خفاياها وأسرارها[2].

وقد وصف الشيخ سعيد النورسي هذه الحضارة بقوله: «.. تنشر الكفر وتثبت الجحود، تُرى هل يمكن أن يسعد إنسان مجرد تملكه

---

(١) المصدر السابق (ص:٧).

(٢) د/ عبد الودود شلبي بحث بعنوان «سعيد النورسي المصلح الذي تجسدت في دعوته كل حركات الإصلاح» (ص:١١٦).

ثروة طائلة وترفله في زينة ظاهرة خادعة، وهو المصاب في روحه وفي وجدانه وفي عقله وفي قلبه بمصائب هائلة؟ وهل يمكن أن نطلق عليه أنه سعيد»[١] ؟!

السمات المنهجية لرسائل النور:

لخصها الأستاذ محمد رشيد عبيد في السمات الآتية:

١- إعتماد الكتاب والسنة الصحيحة مصدرين معصومين، ونفي العصمة والكمال عن المضامين المعرفية المتحصلة بطرق أخرى عقلية أو روحية.

٢- تقديم اجتهادات الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على ما تم بعد عصرهم من اجتهادات.

٣- عدم جعل العلم أو العقل بما يحملانه من طوابع النسبية والقصور حكمين على الحقائق الدينية اليقينية.

٤- الاستشهاد بالمعطيات العلمية الزمنية لتأصيل قضايا الإيمان وتوصيل مناهج الإسلام وبيان محاسنه.

٥- احترام الحدود الفاصلة بين عالم الغيب غير المسموح نصًا

---

(١) المصدر السابق (ص:١١٧).

باختراقه، وبين عالم الشهادة المسخر للاكتشاف والاستثمار.

٦- التعبير الأدبي عن بعض الحقائق الدينية وبما يحمله من مجازات لغوية.

٧- الأسلوب السهل الممتنع والغامض أحيانًا والتكرار لبعض الأفكار في صيغ مختلفة والانتقال من المحسوس إلى المعلوم[١].

وقد بلغت رسائل الشيخ النورسي وأبحاثه نحو المائة والثلاثين رسالة، وصلت إلى مختلف أنحاء العالم، وترجمت إلى اللغات العربية والإنجليزية والكردية والفارسية والأردية وغيرها[٢].

ويبدو من ترجمة حياته أنه كان واسع الاطلاع، مُلمًا بمؤلفات ابن تيمية وابن القيم، حيث وصفهما «بالجهبذين الذهبيين و«المثيرين للإعجاب» و«المشهورين»، ويصف كتبهما كذلك بأنها من المؤلفات ذات الجاذبية القوية جدًّا والعجيبة جدًّا[٣].

أما بالنسبة لمحيي الدين ابن عربي فقد وصفه بقوله: «لا يسعني الوقت الكافي لوضع ميزان بين الإفراط والتفريط بحق هذا

(١) محمد رشدي عبيد «ملامح تربوية في رسائل النور» (ص:٩٤).
(٢) المصدر السابق (ص:١٨٢).
(٣) المصدر السابق (ص:١١١).

الشخص فأكتفي بما يأتي «أنه لا ينبغي أن يكون مرشدًا أو قدوة في جميع ما كتبه رغم أنه شخص مقبول ومجتهد ولكن لمخالفته القواعد الثابتة لأهل السنة فإنه يمضي غالبًا دون ميزان في الحقائق، لذا أفادت بعض أقواله -ظاهرًا- الضلالة، غير أنه بريء من الضلالة، والكلام قد يبدو كفرًا بظاهره ولا يكون القائل به كافرًا».

ويحدد رأيه في كتبه بختام الرسالة قائلًا: «لذا فإن قراءة كتب محيي الدين مما يضر في زماننا هذا، وبالأخص آراءه في وحدة الوجود»[١].

كيف أزاح تلامذة النورسي الأيديولجية الكمالية اللادينية؟:

إنها قصة طويلة واقعية لابد أن تروى للأجيال الشابة من المسلمين لتقوية عزائمهم وتثبيتهم في مواقفهم الدفاعية عن الإسلام لأن ما حدث في تركيا هو صورة نمطية معبرة عن واقع بلاد المسلمين بين المثقفين المسلمين وخصومهم من العلمانيين.

يصور الدكتور كمال السعيد حبيب ذلك بقوله:

«المهمة الأولى للمثقف المسلم في تركيا هي الدفاع عن الإيمان

---

(١) المصدر السابق (ص:١١١-١١٢).

والعقيدة والفكرة الإسلامية في مواجهة إكتساح الأفكار المادية واللادينية... وبينما كان دور المثقف الإسلامي هي المقاومة؛ كان دور المثقف العلماني هو الالتحاق، وبينما كان حظ المثقف الإسلامي التهميش والحصار والهجرة من الوطن، كان حظ المثقف العلماني التواجد في المراكز المتقدمة متقاسمًا مع النظام المغانم والأضواء والحضور»[١].

وقد عرض الدكتور كمال سعيد للتطورات التي حدثت بتركيا بالساحتين الداخلية والخارجية، واتخذت خطوات لعودة تركيا إلى أحضان الأمة الإسلامية من جديد بعد أن سلخها أتاتورك منها، فقام نجم الدين أربكان بإنشاء رابطة الدول الإسلامية الثمانية في ١٩٩٧/٦/١٥م، وهي تركيا ومصر وباكستان وإيران وبنجلاديش ونيجيريا وماليزيا وأندونيسيا، والغرض تأسيس سياسة خارجية تستند إلى التوحيد مع العالم الإسلامي انطلاقًا من مفهوم الأمة الإسلامية عن طريق الأمم المتحدة الإسلامية والسوق الإسلامية المشتركة والجيش

---

(١) د/ كمال سعيد حبيب «الدين والدولة في تركيا - صراع الإسلام والعلمانية» (ص:٨١-٨٢).

الإسلامي المشترك ومشروع العملة الإسلامية المشتركة «الدينار الإسلامي»، ومنظمة الدول الإسلامية للتعاون الثقافي[١].

وقد سجل الدكتور كمال السعيد الخطوات التي خطاها أربكان ملخصًا مشروعه الفكري الذي تبناه حزب الرفاة:

«وقال نجم الدين أربكان: نحن لسنا حزبًا سياسيًا ولكننا حركة «الملي جورش» وهي تحمل مشروعًا للنهوض التركي مستندًا إلى الأيدولوجية الإسلامية..».

وقال: «نحن كالشرطة نمسك الأذن الصهيونية ونقاوم السيناريو الصهيوني..»[٢].

أما ما يعنيه حزب الرفاة بفكر الأمة، فهو الفكر الذي ينبع من شعبنا، ولم تكن أمتنا في تاريخها الطويل قائمة على القوة والجبروت إنما هي أمة صاحبة فكر، وقد أنتجت دولًا عظيمة مثل الدولة السلجوقية، والدولة العثمانية، وقد عكست عبر التاريخ أفضل مثال فيما يتعلق بحقوق الإنسان والسلام والعدالة، وهي أمة ذات

---

(١) المصدر السابق (ص:٢٨٦-٢٨٧).

(٢) المصدر السابق (ص:٢٣٣-٢٣٦).

خصائص ناصعة ومشرّفة، وأمة لديها هذه المزايا لا ينبغي لها أن تكون خاضعة للغرب الذي يقوم على التسلط ولا يليق بها أن تقلده وتسير وفق خطواته.

ثم جاء فوز حزب العدالة والتنمية، والذي لم يكن متوقعًا بهذا الحجم، جاء عنوانًا لفشل العسكر في الحملة التي دشنوها ضد ما أطلقوا عليه استئصال «الأصولية» أو «الرجعية».

ويُعلق على ذلك الدكتور كمال السعيد حبيب بقوله: «على العسكر أن يدركوا أن تطرفهم في مواجهة التوجهات الإسلامية في تركيا لن يقضي عليها بل سيؤدي إلى زيادة تصويت الناخبين لهم»[١].

ولأربكان تصريحات أطلقها بمكة المكرمة قال فيها: «تخلينا عن القرآن ما يقارب الخمسين سنة الماضية، إن الدين والدولة فُصلا، ويتعين علينا أن نعمل من أجل كلمة القرآن كي تكون فاعلة مرة أخرى، ولهذا الهدف نحن في حاجة إلى الجهاد»[٢].

ويتضح من كلماته تأثره برسائل النور، كذلك امتدت إشعاعاتها إلى

---

(١) المصدر السابق (ص:٣٢٢).
(٢) المصدر السابق (ص:١٩٦).

نابغة العصر للإمام النورسي الحكيم التركي الأستاذ محمد فتح الله كولن[١].

ومن دوافع الإمام لكتابة تلك الرسائل شعوره بأن الإيمان في ظل حكم أتاتورك في خطر فنذر نفسه للقرآن بعد أن نمى إلى علمه أن جلادستون رئيس وزراء الإنجليز قال بعد أن رفع نسخة من المصحف الشريف: «مادام هذا القرآن موجودًا في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان»[٢].

❊❊❊❊

(١) المصدر السابق (ص:٦١).
(٢) المصدر السابق (ص:٥٧).

٢- الإمام عبد الحميد بن باديس

التعريف بالإمام عبد الحميد بن باديس:

ولد الإمام ابن باديس في ديسمبر ١٨٨٩ وتلقى تعليمه أولًا بحفظ القرآن الكريم فأتمه وهو في السنة الثالثة عشرة من عمره[1]، وأخذ مبادئ العربية ومبادئ الإسلام عن الشيخ حمدان لونيسي، ثم تلقى الدراسة الابتدائية بمدينة قسنطينة والثانوية بجامع الزيتونة حيث درس من عام ١٩٠٨ إلى عام ١٩١٢، وتوفي رحمه الله تعالى سنة ١٩٤٠م.

وخاض الإمام في مجالات مختلفة تعليمية وصحفية واجتماعية وسياسية محاولًا تحرير بلده من الاستعمار الفرنسي وإحياء الإسلام في نفوس الجزائريين بعد أن حاولت فرنسا نزع العقيدة الإسلامية من النفوس وسط حملة تغريب ضارية لم نجد لها في التاريخ مثيلًا!

---

(١) «ابن باديس حياته وآثاره» عمار الطالبي (١/ ٧٤).

ونجح ابن باديس بمنهجه الإصلاحي المستمد من الإسلام في إنقاذ بلاده وإعادة شخصيتها وكيانها فحق اعتبار ذلك بمثابة معجزة القرن العشرين[١].

وقد اتخذ هذا الإمام الكبير من الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح دليلًا ومرشدًا في منهجه وأعماله كلها كما سيتضح لنا بعد قليل، وقد خلّف لنا رَحِمَهُ اللَّهُ تجارب عظيمة في الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي والسياسي.

آراء الإمام عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الإصلاح:

منهجه:

من الممكن أن نلخص المنهج الذي اتبعه الإمام عبد الحميد بن باديس بالكلمة الموجزة التي ألقاها بجمعية التربية والتعليم عام ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م بقوله: «لم لا نثق بنفوسنا، وقد أعطانا الله عقولًا ندرك بها؟ وقد أعطانا من هذا الدين الإنساني، ومن هذا

(١) «الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية» د/ محمود قاسم «الإمام عبد الحميد ابن باديس» (ص: ١٤) ط. دار المعارف بمصر ١٩٦٨.

الدين العقلي والروحي ما يكمل عقولنا ويهذب أرواحنا، أعطانا منه ما لم يعط لغيرنا، لنكون قادة وسادة وأعطانا وطنًا شاسعًا مثل ما لغيرنا، فنحن إذن شعب عظيم يعتز بدينه، ويعتز بلغته، يعتز بوطنه، يستطيع أن يكون في الرقي واحدًا من هذه الشعوب...» [(١)].

كان معتزًا بالإسلام لأنه لا سبيل إلى الناس في دنياهم وأخراهم ومغفرة خالقهم ورضوانه إلا بالعمل بما أمر الله به والانتهاء عما نهى عنه، وذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨]، ويفسر الإمام هذه الآية بان الله خلق محمدًا ﷺ أكمل الناس وجعله قدوتهم وفرض عليهم اتباعه والاقتداء به، وقد بين سبيله بثلاثة أشياء «الدعوة إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحان الله وما

---

(١) قام الأستاذ الدكتور محمود قاسم -رحمه الله تعالى- بدراسة شاملة لسيرة هذا الإمام الجليل، ومنهجه في الإصلاح، وفكره السياسي، وفلسفته، مع دراسة مقارنة بينه وبين الماتريدي وابن رشد في فكرة السببية، ونشر بعض النصوص من تفسير الإمام للقرآن الكريم. ينظر: كتاب «الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية» ط. دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨ للدكتور محمود قاسم.

أنا من المشركين»[١].

وفي عبارة موجزة يعبر لنا عن مفهوم الدين عنده، فالدين كله «عقيدة بالقلب ونطق باللسان وعمل بالجوارح الظاهرة والباطنة»[٢].

إنه يتمسك بالقرآن للإصلاح في كافة المجالات، ومنها الأخلاق فقد بيّن لنا مكارم الأخلاق ونفعها ومساوئ الأخلاق وضررها، ولكن المسلمين لم يستمسكوا بهذا الأصل وانصرفوا إلى مناهج أخرى، فمنهم من اندفع إلى التصوف الأعجمي واعتبروا إياه عنوانًا على السلوك القويم، بينما الحقيقة أنه مختلط بتراث أمم وثنية، أي أن المسلمين انصرفوا عن الأخلاق التي بينها القرآن والتي لا تدانيها أخلاق أي دين آخر أو أي مذهب فلسفي، ووضعوا أوضاعًا من عند أنفسهم واصطلاحات مخترعة ابتعدوا بها عن الحقيقة السمحة، وأدخلوا من النسك الأعجمي ما هو بعيد كل البعد عن روح

---

(١) «تفسير ابن باديس» (١/ ١٧٤).

(٢) «العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية» ابن باديس (ص:٥٣) مكتبة الشركة الجزائرية، رواية وتعليق محمد الصالح رمضان ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.

الإسلام، بل معارضة القرآن به[(١)].

فمن خطأ الصوفية في منهجهم الإلتجاء إلى مصادر ثقافية ودينية أجنبية والإستناد إلى قواعد أخلاقية غريبة عن الإسلام، كما أخطأ المتكلمون أيضًا عندما لم يستمدوا العقائد من القرآن وهي سهلة قريبة في متناول عامة المسلمين، فكأنما هجروا القرآن إلى عباراتهم الاصطلاحية الصعبة «وقد كان من نتيجة هذا ما نراه اليوم في عامة المسلمين من الجهل بعقائد الإسلام وحقائقه»[(٢)].

إنه يؤمن بأن الحقيقة القرآنية متكاملة «تشمل الحياة الأخلاقية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، أو ما يعبر عنه بالدين والدولة أو الدنيا، وليس الإسلام كالمسيحية التي اهتمت اهتمامًا بالغًا بالإصلاح الروحي، وأهملت النظام الاجتماعي، وهو ما أراد بعض الناس أن يطبقه على الإسلام أيضًا»[(٣)].

---

(١) «الإمام عبد الحميد بن باديس» د/ محمود قاسم (ص: ٥٤).
(٢) «تفسير ابن باديس» (١/ ٢٧٢).
(٣) «مقدمة التفسير» عمار الطالبي (١/ ١٠٠).

كما اعترض الإمام ابن باديس على طريق المسلمين في تلقي القرآن وحفظه دون تطبيقه، فإن هذه الطريقة مخالفة لطريقة السلف حيث استخدموا عقولهم لفهمه، واستعملوا هممهم العالية لنشره وتعميمه «فإن القرآن لا يأتي بمعجزاته، ولا يؤتى آثاره في الإصلاح للنفوس إلا إذا تولته بالفهم عقول كعقول السلف، وتولته بالتطبيق العملي نفوس سامية وهمم عالية، كنفوسهم وهممهم»[١].

هكذا فهم إمامنا رسالة القرآن، وكان هذا الفهم حجر الزاوية في منهجه الإصلاحي، لتخليص عقائد المسلمين من الشوائب، وأخلاقهم من تأثيرات التصوف، والأخذ بيدهم في الارتقاء والتقدم، ويعتبر أن الشرع كله متوجه إلى إصلاح النفوس، فصلاح الإنسان وفساده يقاس بصلاح نفسه وفسادها مستشهدًا بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩-١٠]، فعارض بذلك المدرسة الاجتماعية التي تضع في المقدمة تغير المؤسسات الاجتماعية، وتفترض أن الإنسان صار إلى ما صار إليه نتيجة

---

(١) «الإمام ابن باديس» د/ محمود قاسم «النص الأول من تفسير الإمام» (ص: ١٢٠).

عوامل مختلفة. وهو مع مناداته بالإصلاح في ميادين الاقتصاد والاجتماع أيضًا؛ إلا أنه يرى أنه ينبغي البدء بالإنسان، ولهذا فإن العامل الأخلاقي هو الأساس في كل إصلاح عند ابن باديس بينما تجعله المدرسة الأخرى متأخرًا عن المسائل المادية، ومن المهم أن ندرك -كما فعل الدكتور عمار الطالبي في دراسته لمنهج الإمام الجزائري- أن كون النفس هي أساس الإصلاح ليس معناه التأمل الباطني والإنقطاع عن الحياة، فإن هذا التصور كان بعيدًا تمامًا عن الفكر الباديسي؛ لأن ميزته العقلية «أنه يجمع بين الفكر والعمل، بين النظر والتطبيق، وهي ميزة النفوس القوية، وطبيعة المفكرين المؤمنين»[1].

وكان معارضًا لمنهج الفلاسفة كابن سينا وأمثاله «الذين يحاولون تطبيق العبارة الإسلامية على الفلسفة اليونانية والآراء الأفلاطونية»[2]، ويقارن بينهم وبين الفقيه المغربي ابن العربي مادحًا إياه، فيصفه بأنه حكيم إسلامي وفقيه قرآني وعالم سني، ويوضح منهجه بأنه لا يبني

(١) «مقدمة التفسير» د/ عمار الطالبي» (ص:١٠٢).
(٢) «تفسير ابن باديس» (١/ ٤٦٠).

أنظاره إلا على أصول الإسلام ودلائل الكتاب والسنة.

المفهومات الأخلاقيـة:

من الضروري أن نتعرف أولًا على معاني ألفاظ كثيرة يستخدمها الإمام ابن باديس مثل القلب، الروح، النفس، العقل، وسنحاول بيان المفهومات التي تناسب علم الأخلاق، وذلك تمهيدًا للحديث عن مذهبه في الأخلاق.

يبدو من سياق آرائه أنه جعل القلب أساس الحياة الأخلاقية، وقد ذكر القلب كثيرًا في القرآن الكريم؛ فإذا لجأنا إلى استطلاع حكيم أخلاقي سابق عليه وهو الراغب الأصفهاني لعثرنا على معنى القلب عنده فالمراد بالقلب «في كثير من الآيات: العقل والمعرفة»[1]، ومن هنا نفهم قول العالم الجزائري المسلم: «إن إطلاق لفظ الفؤاد والقلب على العقل مجاز مشهور»[2]، اما القوى النفسية فهو في الغالب يقصد بها الانفعالات والهواجس؛ لأنه يقسم

---

(١) «تفسير القاسمي» (٢/ ٤١).
(٢) «تفسير ابن باديس» (١/ ٢٦٦).

النفوس البشرية إلى ثلاث أقسام، قسم يصدر عنه الضرر ويعمله، وقسم لا يريد الخير فيسعى في سلبه وانتزاعه، وهو شر من الأول، والقسم الثالث وهو الأعظم خطرًا لأنه «يوسوس بكلمة السوء مزينة الظاهر مغطاة القبح حتى تستنزل صاحبها إلى الهلاك»[١].

هذا إن كان القلب شريرًا خاليًا من دواعي العلم والإيمان، أما إذا كان محصنًا بالإيمان فيحنئذٍ يصبح مجلي العقول فلا يستطيع الوسواس له نقبًا[٢].

والنفس الكريمة هي التي كملت بمحاسن الأخلاق التي بها كمال النفوس[٣] ووسيلتها إلى ذلك التحلي بعقائد الإسلام في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر كله، وتذوق حلاوتها، فتكون لها منها «إرادة قوية في الفعل والترك تملك بها زمامها، تلك الإرادة التي لا تكون إلا عن عقيدة راسخة»[٤].

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٢١).
(٢) المصدر السابق (١/ ١٢٦).
(٣) المصدر السابق (١/ ٣٠١).
(٤) المصدر السابق (١/ ١٣٢-١٣٣).

إن للنفس إذن عند ابن باديس معنى أعم من القلب، ولكن نظرًا لأهمية القلب فإنه يعبر به عن النفس على طريق المجاز.

إن المكلف المخاطب من الإنسان هو نفسه، ويسري عليها ما يسري على البدن من صحة ومرض، فكما أن صحة البدن هو اعتدال مزاجه وقيام أعضائه بوظائفها، ومرضها هو تعطيل أعضائه وضعفها وعجز بعضها أو كلها عن القيام بوظائفها، فالأمر كذلك أيضًا بالنسبة للنفس من حيث اعتلالها ومرضها، وطريقة علاجها وتقويمها، فعلاج البدن بالدواء «وإصلاح النفس بمعالجتها بالتوبة الصادقة وإفساد البدن بتناول ما يحدث به الضرر، وإفساد النفس بمقارفة المعاصي والذنوب»[(١)].

واستنادًا إلى الآيات والأحاديث يقدم لنا الأدلة على صحة ما يذهب إليه، ففي قوله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا**﴾ [الشمس:٩-١٠]، دليل على أن رقي الإنسان وانحطاطه برقي نفسه وانحطاطها، والحديث: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت**

(١) «تفسير ابن باديس» (١/ ٢٣١).

صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».

ويمضي معلقًا على هذا الحديث فيقول: «وليس المقصود من القلب مادته وصورته، وإنما المقصود النفس الإنسانية المرتبطة به، وللنفس ارتباط بالبدن كله ولكن القلب عضو رئيسي في البدن ومبعث دورته الدموية على قيامه بوظيفته تتوقف صلاحية البدن لارتباط النفس به فكان حقيقيًا لأن يعبر به عن النفس على طريق المجاز»[1].

والحياة الأخلاقية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالقلب بمعنى النفس، فإن الصلاح يتم بالعقائد الحقة والأخلاق الفاضلة -أي بصحة العلم وصحة الإرادة- وتبنى الأعمال على العقائد والأخلاق، ولذا فعلينا في رأيه أن نوجه الاهتمام الأعظم لتربية أنفسنا وتربية غيرنا ووسيلتنا «تصحيح العقائد وتقويم الأخلاق، فالباطن أساس الظاهر»[2].

وأشار الإمام إلى الغرائز دون تفصيل، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾ [الإسراء:٨٣]،

---

(١) «تفسير ابن باديس» (١/ ٢٣٢).
(٢) «تفسير ابن باديس» (١/ ٣٣٩).

يذكر أنه في النوع الإنساني غرائز غالبة عليه لا يسلم منها إلا من عصم الله أو وفق إلى الإيمان والعمل الصالح، ورأى أن في هذه الآية بيان الإعراض عن النعمة واليأس من الرحمة، «فليحذر المؤمن من هذين الوصفين الذميمين والعمل على اجتنابهما واجتثاثهما من أصلهما»[١]، وقد أوضح القرآن الكريم بيان لكثير من الغرائز للتحذير من شرها والتنبيه على سوء مغبتها، منها أيضًا محبة الإنسان نفسه، والناحية النافعة في هذه المحبة هو جلب للنفس حاجتها ودفع عنها ما يضرها والسعي في تكميلها، ولكنها من ناحية أخرى هي مدخل من أعظم مداخل الشيطان، يحسن للإنسان أعماله «وهو لمحبة نفسه يحب أعماله ويغتر بها فيذهب مع هواه في تلك الأعمال على غير هدى ولا بيان فيهلك هلاكًا بعيدًا، والوقاية من هذا الهلاك هو أن يوزن الإنسان أعماله بميزان الشرع لاسيما إذا ما اشتدت رغبته في أمر تدعوه إليه نفسه، فعليه أن يتهم إياها»[٢].

---

(١) «تفسير ابن باديس» (١/ ٣٣٧).
(٢) «تفسير ابن باديس» (٢/ ٤٥-٤٦).

وفي علاجه لموضوع الغرائز يضع العلاج لها، وينبه إلى إمكان السيطرة عليها بحيث تجلب النافع وتدفع الضار، ووسيلته إلى ذلك هو عقائد الإسلام التي تتكون منها إرادة قوية في الفعل والترك تملك بها زمام النفس[(١)].

إن الخلق إذن عند الإمام قابل للتعديل والتحسين حتى يصير ملكة نفسه، إذ يعرف الخُلق بأنه «الملكة النفسية التي تصدر عنها الأعمال»[(٢)].

ومصدره في بيان الأخلاق هو القرآن الذي جاء موضحًا الأخلاق الصحيحة وعظيم نفعها وحسن عاقبتها، ومبينًا الأخلاق الفاسدة وسوء أثرها وقبح مغبتها، فجاء مصححًا للعقائد مقومًا للأخلاق وبهما سلامة الأرواح وكمالها، إن فيه شفاء للفرد والجماعة بما شرع من أصول العدل وقواعد العمران ونظم التعامل وسياسة الناس، فبالإجمال تضمن شفاء العقائد والأخلاق -وهما أساس

---

(١) «تفسير ابن باديس» (١/ ١٣٣).

(٢) «تفسير ابن باديس» (١/ ١٢٧).

الأعمال- والمجتمع، هذه الثلاثة لا تكاد تخلو آيات القرآن من معالجتها وبيان ما هو شفاء لها – ولا شفاء لها إلا بالقرآن – وبيان النبي ﷺ راجع إلى القرآن – ومن طلب شفاءها - أي أمراض العقول والنفوس- في غير القرآن فإنه لا يزيدها إلا مرضًا»، ويضرب على ذلك مثلًا بالأمم الغربية التي امتلأت بالجنايات والفضائح المنكرة بالرغم من سجونها ومشانقها ومحاكمها، بينما بعض الممالك الإسلامية التي داوت الأمراض بالقرآن قد استقرت فيها السكينة بلا سجون ولا مشانق.

التربية الأخلاقية:

قلنا في بداية هذا الحديث إن الإمام ابن باديس يرى أنه ينبغي البدء بالإنسان في منهجه الإصلاحي «والإصلاح هو إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإزالة ما طرأ عليه من فساد»[(١)].

ومن هذه العبارة نفهم كيف سعى إلى بيان طريقته في التربية التي رأى أنه لابد فيها من الشرع، وأنها «لا تكون مجدية إلا على أساس

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٣١).

تصحيح العقائد وتقويم الأخلاق»، يقول الأستاذ الدكتور قاسم: «ومن قبل حاول أوجست كونت مثل هذه النهضة لكنه فصل الأخلاق عن الدين، وحاول بعض أتباع مدرسته أن ينشيء الأخلاق على أساس من العلم لا من الدين فلم يفلح لقد ظنت المدرسة الفرنسية أن المجتمع هو الذي يفرض القيم الأخلاقية فرضًا، ورأى ابن باديس، ومثله جمال الدين الأفغاني أن الأخلاق هي التي تنبع من إعمال الضمير المتدين لا من قهر المجتمع؛ لأن صوت الضمير أقوى من مئات القوانين»[1].

وفي تفسير ابن باديس لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦]، يعني أن الإيمان والتقوى هما العلاج الوحيد للمسلمين، فليبدؤا من الإيمان بتطهير عقائدهم من الشرك وأخلاقهم من الفساد وأعمالهم من المخالفات «فبدوام السعي واستمراره يأتي ذلك القليل من الإصلاح على صرح الفساد العظيم من أصله، وليكن دليلنا في ذلك

---

(١) «الإمام عبد الحميد بن باديس» د/ محمود قاسم (ص:٥١).

وإمامنا كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ وسيرة صالح سلفنا»[١].

والدين كله عمل صالح وتوحيد خالص[٢].

هذا هو الدليل الصحيح الذي يسعى الاسترشاد به في التربية والإصلاح والنهوض بالأمة الإسلامية، وليست المدنية الغربية المادية في نهجها وغايتها ونتائجها إذ تجعل القوة فوق الحق والعدل والرحمة والإحسان، وكانت سبيلًا في ضلال العقائد، وفساد الأخلاق، وتعذيب الإنسانية بالأزمات الخانقة والحروب المخزية «هذه هي بلايا الإنسانية التي يشكو منها أبناء هذه المدنية المادية التي عمّرت الأرض وأفسدت الإنسان»[٣].

وندرك من موقفه من الحضارة الغربية فهمه العميق لمقوماتها - ولا ننسى أن حديثه هذا قاله عام ١٩٣٥ - أي في الظروف التي كانت تتهيأ فيها أوروبا للحرب العالمية الثانية ثم إنه عانى مع

---

(١) «التفسير» (١/ ٣٠٠).
(٢) المصدر السابق (٣٦٥).
(٣) المصدر السابق (١/ ٣٥٦).

مسلمي الجزائر من آثار هذه الحضارة بسبب الاستعمار الفرنسي للجزائر لقد أفسدت هذه الحضارة الإنسان فلابد من البدء بالإنسان وإصلاحه على أساس من الدين ودليله هو القرآن العظيم «ففيه بيان العقائد وأدلتها ورد الشبه عنها وفيه بيان الأخلاق، محاسنها ومساوئها، وطرق الوصول إلى التحلي بالأولى والتخلي عن الثانية ومعالجتها، وفيه أصول الأحكام وعللها»[1].

أما عن وسيلة الإنتفاع به، لكي تتهذب به الأخلاق وتتزكى به النفوس وتتأدب بجميع آدابه فهو الانكباب عليه وتفهمه وتدبره كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩][2].

ويتم تقويم الأخلاق بالسلوك النبوي، والتأسي بمحمد ﷺ الذي كان خلقه القرآن «فكان تذكيره بآيات القرآن: يتلوها ويبينها بالبيان القولي والبيان العملي متمثلًا في ذلك كله أمر ربه تعالى بقوله:

---

(١) المصدر السابق (ص:٤٢٩).
(٢) المصدر السابق (ص:٤٩٠).

﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤٥][1].

إن الغاية التي يسعى إليها كل عاقل هو السعادة الحقة، وقد شرعت التكاليف الإسلامية لسوق الإنسان إليها، ويرى أن إعجاب المرء بنفسه سبب اقتراف كل شر والابتعاد عن كل خير، ودليله على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء:٣٧]، ويسمي هذه الآية آية الأخلاق، حيث سيتبين لنا سبب هذه التسمية.

فالعُجب هو أصل الهلاك لأنه سبب الكبر، والكبر يؤدي إلى احتقار الناس فلا يعتقد المتكبر لهم حرمة ولا يراقب فيهم إلًّا ولا ذمة، ويصبح من أظلم الظالمين «وإبليس اللعين -نعوذ بالله تعالى منه- كان أصل هلاكه من عجبه بنفسه، وأنه خلق من نار، وأنه خير من آدم، فتكبر عليه فكان من الظالمين الهالكين»[2].

ولذا فإن ترك العجب شرط في حسن وكمال الأخلاق، لأنه

---

(١) المصدر السابق (ص:١٢٧).
(٢) المصدر السابق (١/٢٧٧).

أساس الرذائل والمانع من اكتساب الفضائل، لأن المرء إن لم يكن معجبًا بنفسه، فإن تلك الجبلة تدعوه إلى التخلق بمحاسن الأخلاق والتنزه عن نقائصها «وإذا رغب في الكمال كانت داعية فلا يزال بين التذكيرات الإلهية، والجبلة الإنسانية الخلقية يتهذب ويتشذب حتى يبلغ ما قدر له من كمال، ولهذه المعاني التي تتصل بتفسير هذه الآية الكريمة -وهي أصول في علم الأخلاق- عنون عليها بآية الأخلاق»[1].

ثم يرى في الآية التي تعقبها تأكيد الأوامر والنواهي المتقدمة بطريق الإيجاز في قول الله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء:٣٨]؛ فالقبائح المنهي عنها فيما تقدمها من آيات قبيحة لذاتها ولنهي الله تعالى عنها، إذ أنها مبغوضة له تعالى ويعاقب عليها ويسخط على مرتكبها، فنفهم من ذلك أوامر الشرع ونواهيه على مقتضى العقل الصحيح والفطرة السليمة، فإن الله سبحانه لا يأمر إلا بحسن ولا ينهى إلا عن قبيح، وفي ذلك ما يحملنا على الامتثال والترغيب في الحسن؛ لأن النفس تميل إليه وتنفر من القبيح.

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٧٧).

وفي قوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ غاية الترغيب في الحسن والتنفير من القبيح فإن الحسن جد الحسن ما كان حسنًا عند الله تعالى، والقبيح جد القبيح ما كان قبيحًا عنده»[١].

وتربية النفس تقتضي التوبة وترك المعاصي ثم العمل الصالح، إذ استثنى الله تعالى التائبين من الذنبين في قوله ﷻ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

ووجوه التبديل في هذه الآية أن السيئات الماضية محقت بالتوبة وأن التائب صار يعمل الصالحات بدلًا من السيئات، كما أن نفس التائب بعد أن كانت مظلمة شريرة بالمعصية، أصبحت منيرة خيرة بالتوبة والعمل الصالح، فالتبديل إذن قد تم في الكتب والعمل وحالة النفس»[٢].

وقد جاء الإسلام بالوسائل التي تهذب النفس وتربيها تربية

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٧٩).
(٢) المصدر السابق (١/ ٤٧٨).

فاضلة، منها الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وتربي النفس على استصغار الدنيا وما فيها[١]، والصبر من الأمور الضرورية للتهذيب والتربية، لأن الإنسان لا ينهض بامتثال المأمورات وترك المنهيات إلا به فالصبر «خلق من الأخلاق التي تربي وتنمو بالمران والدوام فواجب على المكلف أن يجعل تربية نفسه عليه وتعويدها به من أكبر همه»[٢].

وباختصار فقد أوضح القرآن أصول الطاعات وأمهات المعاصي «وقدم إثبات الطاعات على انتفاء المعاصي تنبيهًا على أن من راضي نفسه على الطاعة ودانت نفسه والانقياد لأوامر الشريعة ضعفت منه أو زالت دواعي الشر والفساد فانكف عن المعصية»[٣].

وهو يقصد تقديم إثبات الطاعات بالآيات القرآنية التي تصف عباد الرحمن في «سورة الفرقان» وتبدأ بقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ

---

(١) المصدر السابق (١/ ٤٦٤).
(٢) المصدر السابق (١/ ٥٠٠).
(٣) المصدر السابق (١/ ٢٧٩).

ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣]، حيث توضح هذه الآية وما بعدها صفات عباد الرحمن وأخلاقهم وآدابهم في صلاتهم وعلاقاتهم بخلقه، ثم نفت عنهم الآيات القرآنية في ختام وصف الكمّل من عباد الله أمهات المعاصي في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان:٦٨].

ويستخلص إمامنا من النظر في هذه الآيات وتفسيرها أن على المسلم الذي يجتهد لتزكية نفسه «أن يواظب على الطاعات بأنواعها وأن يجتهد في حصول الأنس بها والخشوع فيها، فإن ذلك زيادة على ما يثبت فيه من أصول الخير يقلع منه أصول الشر ويميت منه بواعثه»[١].

إن تربية النفس وتهذيبها إذن تنبني على عاملين: أحدهما المواظبة على الطاعة لتدعيم أصول الخير وتدعيمها، والثاني اجتثاث أصول الشر وإماتة بواعثه ومقدماته، وهذا ما تفعله العبادات، فالمؤمن يطلب

(١) المصدر السابق (١/٤٦٩).

أسمى الغايات تنفيذًا لأمره تعالى ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ ومعناها طلب الرتب العليا في الخير والكمال والسبق إليها، ومن لم يطلب الكمال بقي في النقص، بينما طلب الكمال كمال لأن الساعي إليه «حتى إذا لم يصل لم يبعد وحتى يكون في مظنة الوصول بصحة القصد وصدق النية»[1].

ويرى أن هذا الكمال الإنساني يتوقف على قوة العلم وقوة الإرادة وقوة العمل «فهي أسس الخلق الكريم والسلوك الحميد اللذين ينهض بهما بجلائل الأعمال ويبلغ بهما أسمى غايات الشرف والكمال»[2].

إن قوة العلم وقوة العمل من الأسباب التي ينبغي الأخذ بها نحن معشر المسلمين كما يذكر الإمام ابن باديس: «لنكون أهلًا للدفاع عن الحق وحزبه، ومقيمين لسلطان الله في أرضه بالحق والعدل والإحسان، معتمدين مع تحصيل تلك الأسباب على الله وحده ومنتظرين منه الفرج والتيسير»، وهنا يتضح لنا إيمان هذا العالم المسلم الكبير بحرية إرادة الإنسان ومحاربته لدعوى الجبر

---

(١) المصدر السابق (١/ ٤٩٥).
(٢) المصدر السابق (٢/ ٢٠٩).

والتواكل التي سادت في عصره على لسان الصوفية.

وكان إمامنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ معبرًا عن التقاء الفكر بالعمل في سلوكه وأخلاقه، وها هو يعلن في الكلمة التي ألقاها بمناسبة ختم القرآن: «أنا زراع محبة، ولكن على أساس من العدل والإنصاف والاحترام مع كل أحد من أي جنس كان ومن أي دين كان»[(١)].

لم يخلق الإنسان للأرض:

يقول الإمام ابن باديس: «لم يخلق الإنسان للأرض وإن خلق منها، وإنما خلق للسماء وللملأ الأعلى»[(٢)]، فماذا يعني بهذه العبارة، وما مغزاها في مجال الحياة الأخلاقية للإنسان؟

إذا تأملنا نظريته المستخرجة من القرآن الكريم عن الإنسان منذ بدء الخلق فإننا نستطيع أن ندرك ما تنطوي عليه هذه العبارة من مغزى أخلاقي، إذ أنه ينبغي على الإنسان أن يسعى لطلب السعادة التامة في الآخرة، وأن يجعل الغاية النهائية لحياته هي اختيار الباقية

---

(١) المصدر السابق (٢/ ١٤٤) وكان الاحتفال يوم ١٣ ربيع الثاني ١٣٥٧ - هـ ١٩٣٨م.
(٢) المصدر السابق (٢/ ١٧٧).

على الفانية، فالدنيا طريق الاختبار والابتلاء «لينال الإنسان ما يستحقه على حسن تصرفه أو سوء تصرفه من عادل الجزاء، بعد خروجه من دار الفناء إلى دار البقاء»[1].

وخلق الإنسان من روح وبدن يقتضي أن يبقى على بدنه بالغذاء وأمر الله أن يكون المأكل من الطيبات لتغذيه ولا تؤذيه بخلاف الخبائث التي يكثر فيها الأذى ويقل بها الغذاء، وأمر أيضًا بالعمل الصالح الذي تزكو بها نفسه، وليس من الإسلام تحريم الطيبات التي أباح أكلها كما يفعل غلاة الصوفية، وقد نهى الإسلام أيضًا عن تعذيب البدن كما يفعل صوفية الهنادك ومن قلدهم من المنتسبين للإسلام، فالغذاء الطيب له أثره على القلب والبدن فتصلح الأعمال «كما أن الغذاء الخبيث يفسد به القلب والبدن فتفسد الأعمال»[2].

وإذا كان الأمر كذلك، فالحياة حياتان -حياة الروح وحياة البدن- وحريتهما هما أصل حياة البدن وحريته، وإذا شرع الله الصوم لتحصيل

---

(١) المصدر السابق (٢/١٧٧).

(٢) المصدر السابق (١/٣٦٥).

حرية الروح ليترك المؤمن طعامه وشرابه وشهوات بدنه لتحرير روحه من سلطة المادة والشهوة ويرتفع بها إلى عالم علوي من الطهر والكمال[1].

لقد كرم الله سبحانه النوع الإنساني بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

والأرواح الإنسانية كريمة الجوهر لأنها من عالم النور؛ لأن نفخ الروح يتم بواسطة الملك، والملائكة -خلقوا من النور- وقد ورد الحديث الصحيح «**أن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح... إلخ**»، إن الروح كريمة الخلقة أيضًا لأنها فطرت على الكمال إذ أضافها الله تعالى إليه في قوله: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السجدة: ٩]، وإذا ما اتصلت بالجسد فقد ترقى بالتزكية فترتفع إلى معارج الكمال، أو تنحط إلى

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٤٨١).

أسفل سافلين «وبعد ارتباطها بالبدن يتكون منهما المخلوق العظيم العجيب المسمى بالإنسان، الذي جعله الله تعالى خليفة في الأرض ليعمرها ويستثمرها»[1].

ويعيش الإنسان في الدار الدنيا الموضوعة على المحنة والابتلاء فينهض بامتثال المأمورات وترك المنهيات، وحياته من البداية إلى النهاية مبنية على الإرادة والفكر والعمل، وهي المذكورة في قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان:٦٢]، فيستخرج الإمام ابن باديس من هذه الآية بأن الإنسان يستفيد مما خلقه الله له وجعله لأجله، والتذكر يتم بالتفكر والشكر يتم بالعمل، ولكن هذه الأركان تعتمد على ثلاثة أخرى هي البدن اللازم للعمل، والعقل للتفكر، والإرادة التي تتوقف على الخلق فالتفكير الصحيح يرتبط بالعقل الصحيح، والإرادة القوية ناجمة عن الخلق المتين، والعمل المفيد يؤديّه البدن السليم «فلهذا كان الإنسان مأمورًا بالمحافظة على هذه الثلاثة عقله وخلقه وبدنه، ودفع المضار

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٥٢).

عنها، فيثقف عقله بالعلم ويقوّم أخلاقه بالسلوك النبوي، ويقوّي بدنه بتنظيم الغذاء وتوقي الأذى والتريض على العمل»[(١)].

وفي تفسير إحدى الآيات القرآنية، يصور لنا الإمام حركة المسلم في حياته، فإن كل فرد من أفراد بني الإنسان لا ينفك في كل ساعة بل كل لحظة من لحظات عمره عن المداخل باعتبار دخوله فيها مما قبلها، ومخرج لخروجه منها إلى غيرها، فعليه إذن أن يقضيها صادق العقيدة صادق القول، صادق السلوك فتصبح بذلك مدخل صدق ومخرج صدق، والعكس إذا قضاها بسوء في النية والقول والعمل فهي مدخل كذب وفجور ومخرج كذب وفجور، فالإنسان محتاج في كل لحظة من حياته لتوفيق الله وتأييده وحفظه وإمداده فجاء هذا الدعاء القرآني منبهًا على هذه العقيدة»، قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٠].

فالسلوك الأمثل هو أنه على الإنسان ألا يدخل في أمر أو يخرج

---

(١) «التفسير» (١/ ٤٣٤).

منه إلا على بصيرة به وبحث ومعرفة لحكم الله تعالى فيه، دون تفرقة بين أمر وآخر، أو كبير وصغير، أو جليل وحقير، مع الأخذ بالأسباب[1].

وأخذًا بالحديث النبوي، يصف الإمام ابن باديس الناس في الحياة الدنيا بصفتين حارث وهمام، أي عامل ومريد، وبالنظر في الآيات القرآنية التي تتناول من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة، يقسم حكيمنا العباد -من حيث المآل في الآخرة والسعي في الدنيا، والحصول على الثواب أو الاستحقاق للعقاب إلى أربعة أقسام:

١- مؤمن آخذ بالأسباب الدنيوية، فهذا سعيد في الدنيا والآخرة.

٢- ودهري تارك لها، فهذا شقي فيهما.

٣- ومؤمن تارك للأسباب فهذا شقي في الدنيا وينجو - بعد المؤاخذة على الترك - في الآخرة.

٤- ودهري آخذ بالأسباب الدنيوية، وهذا سعيد في الدنيا

---

(١) المصدر السابق (١/ ٣٢٣).

ويكون في الآخرة من الهالكين[١].

إن الإنسان إذن في موقف الاختيار بين طلب الدنيا وطلب الآخرة، قال تعالى ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء:١٨]، فمن يريد الدار العاجلة وقصر همه عليها دون النظر إلى ثواب أو عقاب بعدها، ولا يتقيد في سلوكه بشرائع العدل والإحسان، فإنه يصبح مطرودًا من الرحمة في الآخرة ومصيره إلى النار[٢].

والقسم الثاني من الخلق قصد بعمله الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء:١٩]، والآية توضح شروط قبول عمله للآخرة وهو أن يقصد بعمله ثواب الآخرة قصدًا مخلصًا، ويمتثل الأوامر ربه ونواهيه، كما ينبغي أن يكون مؤمنًا موقنًا بثواب الله تعالى وعظيم جزائه «وإذا اختل واحد منهما فليس العمل بمتقبل ولا

---

(١) المصدر السابق (١/٢٠٢).

(٢) المصدر السابق (١/٢٠٠).

بمثاب عليه بضرورة انعدام المشروط بانعدام شرطه»[١].

وإذا أمعنا النظر في تقسيم الإمام للعباد من حيث طلب الدنيا وطلب الآخرة لرأينا أن الإمام يجعل الأخذ بالأسباب هي الأساس سواء في العمل ابتغاء السعادة في الدنيا أو لطلبها في دار البقاء والخلود، إن هذه النزعة واضحة في كتاباته كلها، فهو يثبت للإنسان حرية الاختيار ويشيد بالعقل الإنساني الذي يمتاز بقوة التحليل والتركيب والتطبيق فتغلّب بذلك على عناصر الطبيعة واستعمل الحيوان والجماد في مصلحته، والتمييز بين الخير والشر[٢]، وقد وضع الدين للإنسان قوانين ثابتة للخير والشر موضحًا أن الخير ما نفع وأن الشر ما ضر[٣].

ولكنه وإن أوتي قوة التمييز لم يؤت قوة الاستعصام امتحانًا وابتلاء من الله، واستمد نظرية الامتحان والاختبار من معنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٠٣).
(٢) المصدر السابق (٢/ ٢٢).
(٣) المصدر السابق (٢/ ١١٢).

بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠]، فالفتنة في هذه الآية تعني الابتلاء والامتحان والاختبار، فجعل الله الرسل بشرًا يأكلون ويكتسبون لامتحان العباد في الاقتداء بالرسل من حيث الصبر على الجهد والبلاء وجعل الغني امتحانًا للفقير والفقير امتحانًا للغني، والصحيح فتنة للمريض، والمريض فتنة للصحيح، وهكذا في كل أحوال البشر فإن الله تعالى مطّلع على ما يكون من عباده عند الامتحان ليجازيهم عليه، وإذا تساءلنا عن الحكمة من الامتحان مع سبق علم الله سبحانه بما يكون عليه العباد، فإن إجابة الإمام صريحة في إثبات الفعل للإنسان لأنه متمكن من الفعل والترك وله القدرة على الاختيار، ولهذا يمتحن الله العباد «لتظهر حقائقهم ويقع جزاؤهم على ما كسبت أيديهم باختيارهم، ولا حجة لهم في تقدم علمه تعالى بما يكون منهم؛ لأن تقدم العلم لم يكن ملجئًا لهم على أعمالهم، ففي هذا الامتحان قيام حجة الله على العاملين أمام الناس أنفسهم وأمام الناس، كما فيه إظهار لحقيقتهم لأنفسهم ولغيرهم»[1].

---

(١) «تفسير ابن باديس» (١/٣٩٨).

معالم الحركة السلفية بالجزائر بقيادة الإمام عبد الحميد بن باديس:

كيف نفسّر ظاهرة انبثاق الحركة الإصلاحية بالجزائر بشمولها لميادين الاجتماع والسياسة والاقتصاد من مجتمع إسلامي حاول الاستعمار الفرنسي جهده السيطرة عليه؟

والحق أن الجزائر أصابها ما أصاب البلاد الإسلامية في العصر الحديث من سيطرة استعمارية بواسطة دول الغرب ولكن ربما كان نصيبها من هذه السيطرة أقوى وأعتى لأن فرنسا كانت تحاول جعل أرض الجزائر جزءًا من فرنسا وفي سبيل ذلك حاولت طمس معالم العروبة والإسلام في المجتمع الجزائري.

ولكن المسلمين بالجزائر لاذوا بالإمام عبد الحميد بن باديس، فقد كان كفيلًا بالمحافظة على معالم المجتمع الإسلامي بالجزائر، وليس مرد ذلك إلا لمتابعته للمنهج السلفي الذي استطاع به أن يبقي على جذوة الحياة الإسلامية مشتعلة تحت الرماد فأحياها من جديد بعد أن ظن الجميع أنها في سبيل الزوال، وأعاد بمنهجه الأمة الجزائرية إلى الركب مع الأمة الإسلامية الكبرى، فلم يتملكه اليأس بتأثير النظرة السطحية

لتدهور المسلمين في عصره، وخضوعهم للدول الأخرى، ولكنه رأى بثاقب نظره أن العلاج الحاسم هو التمسك بقواعد الإسلام -لا التي تظهر على السطح في المجتمعات الإسلامية الغارقة في البدع وأنواع الجهل- وإنما هي «في القرآن والسنة الثابتة الصحيحة وعمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين»[(١)].

ووضع الإمام ابن باديس الأساس الأيدلوجي للإصلاح لكي يبعث الأمة الجزائرية من جديد بعد أن ألقى جانبًا بكافة النظريات السائدة في عصره، وأعلن أن «الاتحاد الإسلامي والوحدة العربية بالمعنى الروحي والأدبي والمعنى الأخوي هما موجودان تزول الجبال ولا يزولان»[(٢)].

وهكذا انقشعت سحب الاحتلال والثقافة الأجنبية وسطعت شمس الإسلام بنورها الذي بدأ في أول مرة كبارقة أمل في حزب

---

(١) «ابن باديس... حياته وآثاره» (٣/١٦٣) ينظر أيضًا: «(ص:٢١٨، ٢١٩) للدكتور عمار الطلبي.

(٢) ماسينيون «وجهة الإسلام» (ص:٦٠).

«السلفيين المتشددين»، ويصفه ماسينيون بانه بالرغم من انتماء القلة إلى هذا الحزب «فقد صار له بعض التأثير بسبب برنامجه المنطوي على الرجوع إلى تعاليم القرآن التي لم يتطرق إليها الفساد»[1]، فنقول: إن بدأ هذا الحزب بارقة أمل ثم أخذ يسطع رويدًا رويدًا حتى ارتفع إلى كبد السماء كالشمس فأحيا الأمة الجزائرية، وأعاد إليها شخصيتها الإسلامية وكيانها الأصيل.

إننا نقدم هذا النموذج للتدليل على حيوية المنهج السلفي لأنه ظل يحافظ دومًا على تعاليم الكتاب والسنة ويلفظ ما عداها.

ولو عدنا إلى الظروف والأحوال التي عاش فيها هذا الإمام فلربما دفعت بنا إلى اليأس فقد كان يرى من مظاهر انحطاط الخلق وفساد العقائد «حتى خارت النفوس القوية وفترت العزائم الفذة وماتت الهمم الوثابة، ودفنت الآلام في صدور الرجال، واستولى القنوط القاتل واليأس المميت»[2].

---

(١) ماسينيون «وجهة الإسلام» (ص: ٦٠).

(٢) «ابن باديس... حياته وآثاره» (٣/ ٢٤).

ولكن ابن باديس لم ييأس وأخذ يبحث عن كيفية إيقاظ هذه الهمم الخائرة وإحياء الآمال من جديد، ولعل التاريخ هنا يعيد نفسه، فلو تذكرنا مرة اخرى موقف ابن تيمية من حروب التتار فإننا ندرك بسهولة تأثير المنهج السلفي في كلا الشيخين، كانت الآثار التي خلّفها الغزو التتاري لا تقل خطورة عن محاولات طمس معالم الأمة الإسلامية في الجزائر وتحويلها إلى ذيل تابع لفرنسا، وكما نفث الشيخ السلفي في القرن الثامن الهجري من روح إيمانه العزيمة في أمة كانت على مشارف اليأس مسندة ظهرها إلى حائط الاستسلام والهزيمة، ارتفع صوت ابن باديس في القرن الرابع عشر الهجري معلنًا أن الإسلام وما بيّناه منه من الأحكام بالكتاب والسنة وهدي السلف الصالح من الأمة مع الرحمة والإحسان»[١].

إن هذه القرون الطويلة التي تفصل بينهما لم تغير من حكمها على الأحداث واتخاذ مواقف واحدة لأنهما يستندان إلى نفس المنهج، وسنرى بعد قليل أنهما تشابها في آرائهما من التصوف والصوفية، كذلك فإن اتفاق آراء كل من الإمام ابن باديس مع الشيخ محمد عبده وتلميذه

---

(١) المصدر السابق (٣/١٣٣).

السيد رشيد رضا بالرغم من اختلاف البلاد التي نشأوا فيها لا يرجع إلى تعاصرهم بقدر ما يتصل بارتباطهم بهذا المنهج السلفي.

ويرى الدكتور محمود قاسم أن ابن باديس لم يكن مصلحًا فحسب «بل كان مجاهدًا سياسيًا بالمعنى الدقيق لهذا الكلمة، فقد وضع للأمة الجزائرية دستور المستقبل عندما برهن لها على عدم مشروعية الحكم الفرنسي في الجزائر معتمدًا في ذلك على استنباطه من خطبة الخليفة الأول أبي بكر الصديق»(١).

وفي بحثه للجانب السياسي من تفكير الإمام الجزائري، ارجع مهادنته للسلطة الفرنسية إلى طبيعة الظروف المحيطة بالجزائر وقوة سيطرة فرنسا حينئذٍ، إذ كان الإمام حكيمًا في الالتفاف حولها ثم اخذ ينشر دعوته السلفية حتى ضيق على فرنسا الخناق، وكان أثناء ذلك يتبع من الأساليب الحكيمة التي تخفي اغراضه الحقيقية ما جعل ماسينيون -وهو المستشرق الذي يعد بمثابة العين الحارسة للاستعمار الفرنسي-

(١) د/ محمود قاسم «الإمام عبد الحميد بن باديس» (ص:٦٥).

لا يفطن إلى الهدف من دعوة ابن باديس إلا بعد فوات الأوان[١]، ومع هذا فإن ماسينيون لم يسعه إخفاء انزعاجه من جماعة السلفيين بما تغرسه في النفوس من بذور الثورة على السلطة الأجنبية[٢].

وقد ضحت الجزائر بمليون شهيد «وكان السر في هذه التضحية والثبات -الذي لا يوجد له نظير في العصر الحديث- حب الشهادة، والحنين إلى الجهاد، وكانت وكالات الأنباء الغربية تعبر عن الجزائريين بكلمة المسلمين فحسب»[٣].

والذي يعنينا في بحثنا هو الاتجاه السلفي للزعيم الجزائري، وموقفه من الصوفية وإن كان من الصعب الفصل بين نظريات الإمام، فالحق أن دعوته الرجوع إلى تعاليم الكتاب والسنة اقتضت

---

(١) د/ محمود قاسم «الإمام عبد الحميد بن باديس» (ص:٦٥).

(٢) ماسينيون «وجهة الإسلام» (ص:٦٠)، وهو يعد ابن باديس زعيم حزب السلفيين المتشددين ويرى أنه بالرغم من أن أتباعه قليلون إلا أنه له بعض التأثير بسبب برنامجه المنطوي على الرجوع إلى تعاليم القرآن التي لم يتطرق إليها الفساد كذلك ينبه إلى أن نار الدعوة للجهاد تندلع فجأة دون توقع ويقول هذا المعنى بصيغة التحذير والتنبيه. ينظر نفس المصدر (ص:٥٥).

(٣) أبو الحسن الندوي «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية» (ص:١٦٢).

منه اتخاذ الموقف السياسي السالف الإشارة إليه، كما دفعته إلى منابذة أصحاب الطرق الصوفية وكانت فرقهم قد عمت أرجاء المغرب العربي، فقد سيطرت هذه الطرق على الفكر الإسلامي والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشرة سيطرة مذهلة»[١].

وسنحاول الكشف عن الأسباب التي حولت اتباع ابن باديس من شرذمة قليلة استطاعت أن تجتذب الغالبية العظمى من شعب الجزائر وتنجح بفضلها الثورة الجزائرية متغلبة على التيارين الآخرين السائدين في الجزائر حينئذٍ وأحدهما يتمثل في الحركة التي كانت غايتها فصل الدين عن الدولة اقتداء بكمال أتاتورك، والثانية تضم أتباع الطرق الصوفية[٢].

وإذا كان النجاح يرجع في الغالب إلى قوة الفكر والنظر وأصالته، فإننا سنتتبع الفكر السلفي لإمامنا ونرى أثره في نجاح دعوته.

---

(١) عمار الطالبي مقدمة كتاب «ابن باديس... حياته وآثاره» (١/ ١٨).
(٢) ماسينيون «وجهة الإسلام» (٦٠-٦١).

الاتجاه السلفي لابن باديس:

سلك الإمام ابن باديس مسالك السلف في إثبات الصفات الإلهية فهو يقول: «نثبت له تعالى ما أثبته لنفسه، على لسان رسوله ﷺ، من ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، وننتهي عند ذلك ولا نزيد عليه، وننزهه في ذلك عن مماثلة أو مشابهة شيء من مخلوقاته»[(١)].

وأعلن أن من أغراضه الدعوة العامة إلى الإسلام الخالص أي الاستناد إلى الكتاب والسنة وهدي سلف الأمة وطرح البدع والضلالات ومفاسد العادات[(٢)].

ولهذا كان يتعجب من الاتهامات التي توجه إليه بمجرد تشابه منهجه مع غيره من شيوخ المسلمين الذي يسلكون نفس هذا السبيل، فقد كانت أصابع الاتهام تشير إليه فتصفه أحيانًا بأنه «عبداوي» أي نسبة للشيخ محمد عبده، أو أنه «وهابي» نسبة إلى

---

(١) عبد الحميد بن باديس «العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية (ص:٧٣).

(٢) «ابن باديس... حياته وآثاره» (٣/٢٨).

محمد بن عبد الوهاب ولكنه لم يلق بالًا إلى هذه الأصوات فهي نفسها التي ترتفع في وجه كل حركة إسلامية «ولنا أسوة بمواقف أمثالنا مع أمثالهم من الماضيين»[1].

ولم يفطن هؤلاء إلى أن تطبيقات المنهج السلفي لابد وأن تثمر نفس النتائج مهما تعددت أشخاص المتبعين له، والحق أن الإمام ابن باديس كان معجبًا بالشيخ محمد عبده فهو عنده «أول من نادى بالإصلاح الديني علمًا وعملًا»[2]، ولم يخف أيضًا ميله إلى السيد رشيد رضا فيصفه بانه «حجة الإسلام.. أول من قام بخدمته بنشرة إسلامية عالمية»، وربما يشير بهذا إلى جهود الشيخ في مجلة «المنار».

ومع احتمال اتصال الإمام ابن باديس بالشيخ محمد عبده أثناء زيارة الثاني لمدينة القسنطينية عام ١٩٠٣[3]، فإن هذا الاحتمال على

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق (ص:٦٦).

(٣) عمار الطالبي مقدمة كتاب «ابن باديس... حياته وآثاره» (١/٧٥)، وهو يرجع هذا الاحتمال إذا كان الإمام ابن باديس حينئذٍ يبلغ من العمر أربعة عشر عامًا وكان يقوم بإمامة الناس في صلاة التراويح بمسجد القسطنطينية الذي زاره الشيخ

فرض صحته، لا يؤثر فيما قلناه آنفًا، وهو الاتفاق في الآراء لا يعني بالضرورة التقاء أصحابها، فإذا ما وجدنا تشابهًا في الدعوة الإصلاحية بواسطة كل من الشيخ محمد عبده وتلميذه رشيد رضا بمصر والإمام عبد الحميد بن باديس بالجزائر، فليس مرده إلا الانتماء لمنهج واحد في النظر والتطبيق مثلما نلاحظ من تعاطف واتفاق بين أصحاب النظريات المتماثلة لاسيما وأنهم نشأوا جميعًا في عصر واحد، وواجهوا نفس المشكلات.

كذلك فإن ابن باديس كان يدافع عن ابن تيمية ويتخذ نفس موقفه من بعض المسائل، مثل موضوع التوسل، فقد ناقش معاصره الشيخ الدجوي أوضح المعنى المقصود بالتوسل، مستشهدًا بابن تيمية فيقول: «ولو تأمل الفصل الطويل الذي نقل بعضه من كلام الشيخ ابن تيمية لظهر له الفرق جليًا»[١].

محمد عبده.

(١) «ابن باديس... حياته وآثاره» (٣٧/٣).

ونلمح تأثره بابن تيمية في استخدامه لعبارات مماثلة لما نقرأه للشيخ السلفي مثل تعريفه للتوحيد العلمي والعملي، فالتوحيد كما يعرفه: «هو اعتقاد وحدانية الله وإفراده بالعبادة، والأول هو التوحيد العلمي، والثاني هو التوحيد العملي لا يكون المسلم مسلمًا إلا بهما»[(١)].

ويمضي مستندًا إلى نفس الآيات، وتظهر أصالة الإمام في لمحاته الذكية لملاحظته للمسلمين، أو بعبارة أخرى تفرقته بين الإسلام الوراثي الذي يأخذه المسلمون تقليدًا لآبائهم وجدودهم ويكنون له المحبة بحكم الشعور والوجدان، وبين ما يطلع عليه اسم «الإسلام الذاتي» وهو «إسلام من يفهم قواعد الإسلام ويدرك محاسن الإسلام في عقائده، وأخلاقه، وآدابه، وأحكامه، وأعماله، ويتفقّه حسب طاقته في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية»[(٢)].

وهو الإسلام المأمور به في مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾ [سبأ:٤٦]، وقد

---

(١) «ابن باديس... العقائد الإسلامية» (ص:٨٠-٨١).
(٢) «ابن باديس... حياته وآثاره» (٣/٢٤١).

بنى ابن باديس هذه الفكرة على تجربة خاضها بنفسه، إذ يحدثنا عن اكتشافه للحقيقة التي أثارت دهشته حين رأى أن منهج التعليم الذي تلقاه كان بعيدًا تمامًا عن «التعليم الديني السني السلفي»[1]، ويقول: «فقد حصلنا على شهادة العالمية من جامع الزيتونة ونحن لم ندرس آية واحدة في كتاب الله»[2]، ويتعجب إمامنا من حالة علماء المسلمين في عصره فإن أغلبهم «أجانب أو كالأجانب من الكتاب والسنة»[3].

ومن هنا أصبح العلاج في رأيه، هو ضرورة الإصلاح وفقًا للمنهج الصحيح، وهو ما يعبر عنه بالتعليم «النبوي في شكله وموضوعه في مادته وصورته»[4].

واستطاع ابن باديس بدعوته الإصلاحية التي تشكل الحركة السلفية حجر الزاوية منها أن يخطو بالأمة الجزائرية نحو النهوض منقذًا إياها من أغلال السيطرة الأجنبية، التي جثمت على صدر

---

(١) المصدر السابق (٣/٢١٩).
(٢) المصدر السابق (٣/٢١٩).
(٣) المصدر السابق (٣/٢١٩).
(٤) المصدر السابق (٣/٢١٧).

الجزائر أكثر من قرن، يقول عمار الطالبي «والحقيقة أن الحركة الأساسية التي تمثل آمال الشعب الجزائري وتعبر عن شخصيته، هي الحركة السلفية التي يمثلها ابن باديس وزملاؤه»[1].

وكان الاتجاه السلفي للإمام هو السبب في نقده للصوفية ومعارضته لفرقهم.

موقفه من الصوفية:

كان ابن باديس دائم الشكوى من انتشار أصحاب الطرق الصوفية في العالم الإسلامي كله، وليس في الجزائر فحسب، فلم يكن الإمام يفكر في نطاق بلده الجزائر ولكنه كان يعني بالعالم الإسلامي «فالاتحاد الإسلامي، والوحدة العربية بالمعنى الروحي والمعنى الأدبي والمعنى الأخوي هما موجودان تزول الجبال ولا يزولان»[2].

---

(١) «ابن باديس... حياته وآثاره» (١/ ٥٤) للأستاذ الدكتور عمار الطالبي الأستاذ المساعد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الجزائر وهو أحد العلماء المحققين الذين تتلمذوا على أستاذنا الدكتور النشّار.

(٢) «ابن باديس... حياته وآثاره» (٣/ ٣٧٩)، وكان الإمام ابن باديس على وعي بما يحاك به من مؤامرات ضد فكرة الوحدة الإسلامية أو العربية فيستطرد قائلاً: =

ويدافع عن الإيمان بهذه الفكرة أن يعني بالإصلاح الديني على مستوى الرقعة الواسعة لبلاد المسلمين، وعلى قمة برامج الإصلاح يدعو إلى القضاء على البدع التي يتمسك بها الطرقية والتي عمت أرجاء الأقطار الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها فإن «صوت العلماء بالإصلاح الإسلامي والحمد لله قد ارتفع من مصر وطرابلس والمغرب الأقصى»[١]، ولكنه يرى في الوقت نفسه أن البدع الطرقية وغيرها في مصر بصفة خاصة هي أكثرها انتشارًا فإنها في نظره هي «مبعث أكثر البدع والضلالات الاعتقادية والعملية من يوم انتصبت فيها دولة الفاطميين فرسخت فيها البدع الطرقية وغير الطرقية»[٢].

= «بل هما في ازدياد دائم بقدر ما يشاهد الناس من عمل في الغرب ضد العروبة والإسلام، وأما بالمعنى السياسي والمعنى العملي فلا وجود إلى اليوم لهما»، وكما يتهم الإمام ابن باديس بما يحدث من جراء «أولئك الدراويش الخبثاء أو البله الذين يغشون أطراف الجزائر وتونس ولا يخلو منهم اليوم قطر من أقطار الإسلام ممن اتخذ دينه متجرًا يكسب به الحطام وجعل من ذكر الله آلة تسلب ألوان من الطعام». من «تاريخ الأستاذ الإمام» (٢/ ٤٠٤).

(١) المصدر السابق (٢/ ١١٦).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٦٦).

ولا يخفى علينا هنا يقظة الإمام للصلة بين التشيع والتصوف، كذلك تنبه إلى الآثار الناجمة عن انحرافات الصوفية فخصص لهم بنودًا خاصة في برنامج جمعية المسلمين بالجزائر تناول فيها «الأوضاع الطرفية» ووصفها بأنها «بدعة لم يعرفها السلف ومبناها كلها على الغلو في الشيخ والتحيز لأتباع الشيخ وخدمة دار الشيخ وأولاد الشيخ»، ولم يخف عليه أسباب هذا الغلو ودوافعه من تحقيق مصالح دنيوية ومنافع مادية فيقول: «إلى ما هناك من استغلال» ثم يوضح الأخطار الناجمة من التوكل والتكاسل والحياة في التكايا مع الاستسلام لفكرة الجبر وغيرها من الأفكار الباطلة وطرق السلوك المتبدعة التي تتسلط على العقول والهمم فتصيبها بالجمود مع إماتة الهمم وقتل الشعور «وغير ذلك من الشرور»[1].

والحق أن ابن باديس لم يبدأ بالخصومة للصوفية لأنه كان يود جمعهم إلى صفّه فقد أراد في أول الأمر أن يستخلص العناصر السليمة فيها لأن الإخوة في الله فوق أي اعتبار آخر، فلما حاربته بدأ

---

(١) المصدر السابق (٢/١٢٣).

يعزلها عن الشعب، فلما لجأت إلى المستعمر أظهرها بمظهر الخيانة[١]، يقول الإمام: «وقد عزمنا على أن نترك أمرها للأمة التي تتولى القضاء عليها ثم نمد يدنا لمن كان على بقية من نسبته إليها لنعمل معًا في ميادين الحياة على شريطة واحدة وهي أن لا يكون آلة مسخّرة في يد من اعتاد تسخيرهم فكل طرق مستقل في نفسه عن التسخير فنحن نمد يدنا له للعمل في الصالح العام»[٢].

كذلك لا نستطيع القول بأن خصومته لهم بدأت على أثر محاولة اغتياله في عام ١٩٢٧ لأن الإمام عفا عمن حاول الغدر به وتمثل بقول رسول الله صلوات الله عليه: «**اللَّهُمَّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[٣]، وإنما كانت آراء ابن باديس نابعة من موقف عملي صرف، فقد حاربهم لما عرف فيهم من أخطاء فأعلن أنه سيعمل

---

(١) «الإمام عبد الحميد بن باديس» د/ محمود قاسم (ص:٦١).

(٢) المصدر السابق (ص:١٠٢)، النص الثالث عشر المصدر مجلة الشهاب محرم ١٣٠٧هـ - ١٩٣٨م.

(٣) المصدر السابق (ص:٢١).

على كشفها وهدمها مهما تحمّل في ذلك من صعاب»[1]، وليس المقصود هنا بالصعاب قوة شوكة فرق الصوفية واستمدادهم العون من السلطة الحاكمة فحسب، بل تتمثل أيضًا فيما يستندون إليه من أسس نظرية تتمثل في فلسفة وحدة الوجود، التي انبثق منها القول بأن الولاية أفضل من النبوة[2]، كما وقف في وجه بدعة الغلو في المشايخ واعتقاد الغوث وبناء القباب على القبور[3].

وفي منهجه الجدلي مع فرق الصوفية أبان زيف إدعائهم بأنهم متبعين للعلماء السابقين الذي سكتوا عنهم وأقروا أفعالهم، فيذهب إلى أن الصوفية جهلوا موقف علماء السلف -وهم أهل العلم الحقيقيين في رأيه- ولا يخلو منهم عصر من العصور لأنهم يقومون بالحق وحفظ السنة «والرد على المحرّفين والمتغالين والزائفين والمبدعين»[4]، ولكن السبب في عدم معرفة عامة المسلمين بهم بالرغم من مواقفهم

---

(١) المصدر السابق (ص:١٥٢) النص الثالث عشر - الشهاب ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م.
(٢) المصدر السابق (ص:١٤٨، ١٥٠) نصوص عن الإمام ابن باديس.
(٣) «ابن باديس... حياته وآثاره» (٣/١٣٣).
(٤) المصدر السابق (٣/١٣٥).

المعروفة على مدى الأجيال يرجع إلى «غلبة الجهل وكثرة أهل الضلال»[١]، ولهذا رأى ابن باديس أن أفضل الطرق للرد على هؤلاء هو «نشر ما تقدم من كلام دعاة الحق وأنصار الهدى في سالف الزمان»[٢].

وينقل الإمام ابن باديس ما يراه من الأدلة القاطعة في هذا الصدد وهي أقوال كل من القشيري والطرطوشي وابن حيان الأندلسي -من أهل القرن السابع والثامن- والشاطبي وغيرهم على مدى العصور وكلها تدور حول معارضة كافة الصوفية التي يتناقلها الصوفية أو المتشبهين بهم على مر الأزمان، وبدأ مستشهدًا بالقشيري نفسه حيث وصف بعضهم بقلة المبالاة بالدين ورفض التمييز بين الحلال والحرام[٣].

كما أعطى أبو حيان الأندلسي صورة صحيحة عن المتسمين بالمشايخ بغية الشهرة تاركين التكسب بحجة التفرغ للأذكار التي لم تأت بالكتاب أو السنة، وينقطعون عن الناس في الخلوات حريصين

---

(١) المصدر السابق (١٣٥/٣).
(٢) المصدر السابق (١٣٥/٣).
(٣) المصدر السابق (٤٣/٣).

على الانفراد على سجادة «والعجب لمثل هؤلاء كيف ترتب لهم الرواتب وتبنى لهم الربط وتوقف عليهم الأوقاف»[١]؟!

ويصفهم الشاطبي بأنهم أصحاب مجالس الذكر التي ابتدعوها الذين قرأوا الآيات والأحاديث فأنزلوها على آرائهم بينما يجهلون طرق العبادات الصحيحة[٢].

وفي إيجاز يسميهم الشيخ الأخضري الجزائري بأنهم طائفة البلع والازدراد[٣]، ولعل هذا الوصف نسبة إلى النهم الذي اشتهروا به على مآدبهم.

ويمضي الإمام ابن باديس بنقل أقوال أخرى لا تخرج عما قدمناه، فتارة هم الطائفة البدعية، وتارة أخرى هم الذين يذيعون عن أنفسهم الكرامات ويعلنون بأن «سوابق الأقدار منوطة بإرادتهم

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٤٤).
(٢) المصدر السابق (٣/ ٤٥).
(٣) المصدر السابق (٣/ ٤٥).

وتأثيرات الأكوان صادرة عن اختيارهم»[١].

ومن هذه النصوص المتعددة التي اختارها ابن باديس وقدمها برهانًا على صحة موقفه يدلنا على موافقته لما حوته من آراء، أضف إلى ذلك حكمه القاطع على الطرق فهي حيثما كانت فهي تكأة وملجأ البدع والخرافات[٢].

رأيه في الزهد:

كان من الطبيعي أن يتخذ ابن باديس موقف المعارضة للزهد، فهو أمام قوة هائلة وهي قوة فرنسا المسيطرة على الجزائر حينئذٍ، لا يستطيع أن يجابهها إلا بقوة أخرى إن لم تكن تماثلها؛ فلابد على الأقل من الدعوة إلى رفع شأن الأمة الجزائرية بالإصلاحات في كافة الجوانب عن طريق الأخذ بأسباب الجوانب المادية في الحياة إلى جانب الحياة الروحية.

لهذا أعلن مطالبه في كلمات محددة حاسمة، قال: «إننا نريد الحياة وللحياة خلقنا، وإن الحياة لا تكون بالخبز وحده فهنالك ما علمتم

(١) المصدر السابق (٣/٤٦).
(٢) المصدر السابق (٣/٦٦).

من مطالبنا العلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ولكنها ضروريات في الحياة»[١].

إن إمام الجزائر أصاب الحقيقة في رؤيته للحياة في شمول واتساع أدخل في إطارها عوامل متشعبة اقتصادية واجتماعية وسياسية وعدّها من ضروريات حياة الأمم، كذلك يبدو هذا الرأي متسقًا تمامًا مع الكفاح الذي خاضه الإمام لكي يخرج الغالبية العظمى من الأمة الجزائرية من ذل الفاقة والعوز إلى عز القوة والمنعة، فلابد له من الدعوة لطرح ألوان الزهد جانبًا وإلا لأصبح مؤيدًا لبقاء حالة المسلمين كما هي في الفقر وهو قرين الضعف أيضًا؛ فإن نقطة الضعف الخطيرة بين المسلمين كما يراها في هؤلاء «الفقراء المبدعين للزهد»[٢]، الذين حاولوا تصوير أنفسهم للأمة الجزائرية بأنهم المثل الأعلى بينما الحقيقة غير ذلك فهم يتمسكون بالبدع ويخالفون السنّة.

ومع التزام الإمام بضرورة الدعوة إلى اتباع السلف، فإنه وقف مليًا أمام زهد أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ثم عده من قبيل الاستثناء لأنه

(١) «ابن باديس... حياته وآثاره» (٢/ ١٨٠).
(٢) المصدر السابق (٣/ ٤٢).

كان «يأخذ نفسه بأعلى درجات الزهد والتقلل من الدنيا ويريد حمل الناس على ذلك بشدة في الحق وصرامة فيه لم يستطع الناس ذلك وما كانوا ليستطيعوا فكانوا يبتعدون منه وكان هو يحب الانفراد عنهم فلم يتأت نشر علمه فيهم»[١].

أما تفسيره للآيات القرآنية التي كان يتمسك بها أبو ذر الغفاري في دعوته، فإن الإمام يرى أنها صريحة في الأمر بأداء حق المال وهو الزكاة، وأنها تعني الممتنعين عن أداء هذا الحق، وقلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة:٣٤-٣٥].

فالقاعدة العامة هي التي تسري على الكافة وهي الأمر بإخراج الزكاة، اما الحض على الزهد فهو من قبيل الفضل الذي يختلف فيه الناس ويصعب حملهم جميعًا عليه.

---

(١) المصدر السابق (٤/ ٩٤).

فإذا ما انتقلنا إلى الحديث «ما يسرني أن لي أحد ذهبًا تأتي علي ثالثة -أي ليلة- وعندي منه دينارًا إلا دينارًا أرصده لدين علي»[(١)]، فإن المقصود به الترغيب في البذل وهي حالة فضل يتفاوت الناس في الأخذ بها.

فإذا كان أبو ذر قد أصاب في اختيار الزهد لنفسه وعزوفه عن الادخار إلا أنه «أخطأ فيما أراد من حمل الناس على حالة فضل لم يوجبها الله عليهم ولن يستطيعوها»[(٢)].

وكان اختلاف أبي ذر مع عثمان بن عفان في الرأي يرجع إلى أن الخليفة كان اكثر وعيًا بكيفية سياسة الأمة، وتدبير شئونها، إذ لا يجوز إجبار الرعية على ما لا يتفق والفطرة العامة بينما ربما أدت آراء أبي ذر إلى الفتنة بين الفقراء والأغنياء، إذ كان يندد بالأغنياء غير مكتفٍ بإخراجهم للزكاة، وظهرت حكمة ذي النورين في نظريته التي تقتضي عدم إجبار الرعية على الزهد مع دعوته إياهم إلى

---

(١) المصدر السابق (٤/ ٩٩).
(٢) المصدر السابق (٤/ ١٠٢).

الاجتهاد في العمل والاقتصاد في إنفاق الأموال[١].

ويسلك الإمام ابن باديس طريقًا وسطًا في التوفيق بين كلا الرأيين، فيذهب إلى أنه من واجب قادة الأمة ترغيبها في «الاجتهاد في العمل والاقتصاد في الاقتناء للأموال، فبذلك يتربى الناس على العمل والاجتهاد فلا يمدون أعينهم لما في أيدي الناس ويتربون على البذل والسخاء فيما يحصلون من ثمرات كدهم فيجمعون بين العمل والغنى وبين السخاء»[٢].

إن دراسة هذه العبارة تجعلنا ندرك السبب في موقفه الفكري من الزهد، لقد نبذ فكرة الزهد لأنها تؤدي إلى السلبية والقعود عن العمل بينما يرى ضرورة الأخذ بأسباب القوة والعمل والاجتهاد من أجل التقدم.

ويتخذ ابن باديس من النصوص القرآنية بتفسيرها الذي أجمع عليه باقي الصحابة دليلًا قطعيًا على مخالفة أبي ذر لنظريات الصحابة إلا أنه يعجبه لما فيه من حرية إبداء الرأي دون ضغط «فكانوا بذلك

(١) المصدر السابق (١٠٢/٤).

(٢) المصدر السابق (١٠٢/٤).

منفذين لما جاء به الإسلام من احترام الآراء وحرية النظر والتفكير»[١].

كذلك يعظم شخصية الصحابي الزاهد مواقفه التي أعلن فيها إسلامه بجرأة بين المشركين أول أمره غير عابئ بتعذيبهم له، أضف إلى ذلك مواقفه المعارضة لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التي لم يخش فيها بأسه، كذلك يرى الإمام أن مذهب أبي ذر الغفاري ومع أنه شاذ فإنه «أول اشتراكي في المال من المسلمين في أول عصور الصحابة»[٢].

وليس المقصود بالحديث الذي يصف فيه الصحابي الزاهد بالضعف أن هذا الضعف يتصل بناحية أخلاقية مع ما رأيناه من جرأته في مواجهة المشركين وأولي الأمر ولكن المقصود به هو عدم اتساع صدره لما يرى مما يكره من الناس «وذلك ضعيف عن القيام بالحكم بين الناس وعن الولاية على المال والرعاية للأيتام»[٣]، أي أن أبا ذر ضعيف إذن عن المعاملة مع الناس والاختلاط بهم لضيق صدره بما يراه منهم، وهذا مقتضى شدته في الحق، وهذا هو المقصود

---

(١) المصدر السابق (٤/ ٩٩).

(٢) «ابن باديس... حياته وآثاره» (٤/ ٩٩-١٠٠).

(٣) المصدر السابق (٤/ ٩٦).

بأنه لم يكن صالحًا للإمارة»[1].

وفي ختام ترجمته لأبي ذر الغفاري يقول ابن باديس: «وطويت بوفاته صفحة من حياة زكية فاضلة شاذة في عصر الخير والفضل بين فضلاء أخيار من أصحاب محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتشدد في الزهد»[2].

هذه هي الحركة السلفية على يد الإمام ابن باديس التي آتت ثمارها العظيمة في تحقيق الثورة الجزائرية.

وقد وضح لنا تأثير ابن تيمية في الإمام الجزائري بالرغم من القرون الطويلة التي تفصل بينهما، وقد يرجع الفضل أيضًا إلى حرص ابن باديس على التمسك بالإسلام في أصله الأول، إسلام الكتاب والسنة.

ولقد أثمر نداء ابن تيمية في العصر الحديث أيضًا في دائرة الفكر، إن هذا النداء كان بمثابة «نفخة صور أحدثت في العالم حركة دائمة لاتزال نسمع صداها في أقطار الإسلام بين حين وآخر»[3].

***

(١) المصدر السابق (٤/ ١٠٢).
(٢) المصدر السابق (٤/ ١٠٤).
(٣) «تجديد الدين وإحيائه» المودودي (ص: ٩٠).

(٣) الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي

الحركة السلفية بالهند:

لكي نلقي الضوء على الحركة السلفية في الهند في العصر الحديث لابد لنا أن نلقي نظرة على أحوال المسلمين بالهند قبل إنشاء دولة الباكستان ثم نتناول أفكار بعض كبار المفكرين في هذه الدولة الإسلامية.

يقول الأمير علي: «لقد امتدت آثار التصوف بسرعة خاطفة من العراق وإيران إلى الهند، حيث وجدت تربة خصبة هناك، وأصبحت أرض الهند مأوى لعدد ضخم من الأولياء رجالًا ونساء، حيث تحولت مقابرهم بعد موتهم إلى مزارات وأضرحة يؤمها المسلمون والهندوس معًا.

وكان الغزو التتاري قد زحف بآثاره على الهند، وظلت هذه الآثار تتضخم بمضي القرون، حتى ظهر الملك «أكبر» (٩٤٦-١٠١٤هـ)، الذي قرر أن بعثة محمد ﷺ «قد مضت عليها ألف سنة